الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – بالوادي –

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

السلالم الحجاجية في خطب الإمام علي كرم الله وجه

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

إعداد الطالبتين:
✓ الساكر وداد
✓ قصة فطوم

إشراف الدكتور :
الساكر مسعودة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د. لزهر كرشو	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
د. ساكر مسعودة	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
د. منيرة لعبيدي	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مناقشا

السنـة الجامعية : 1441/1440هـ / 2020/2019 م

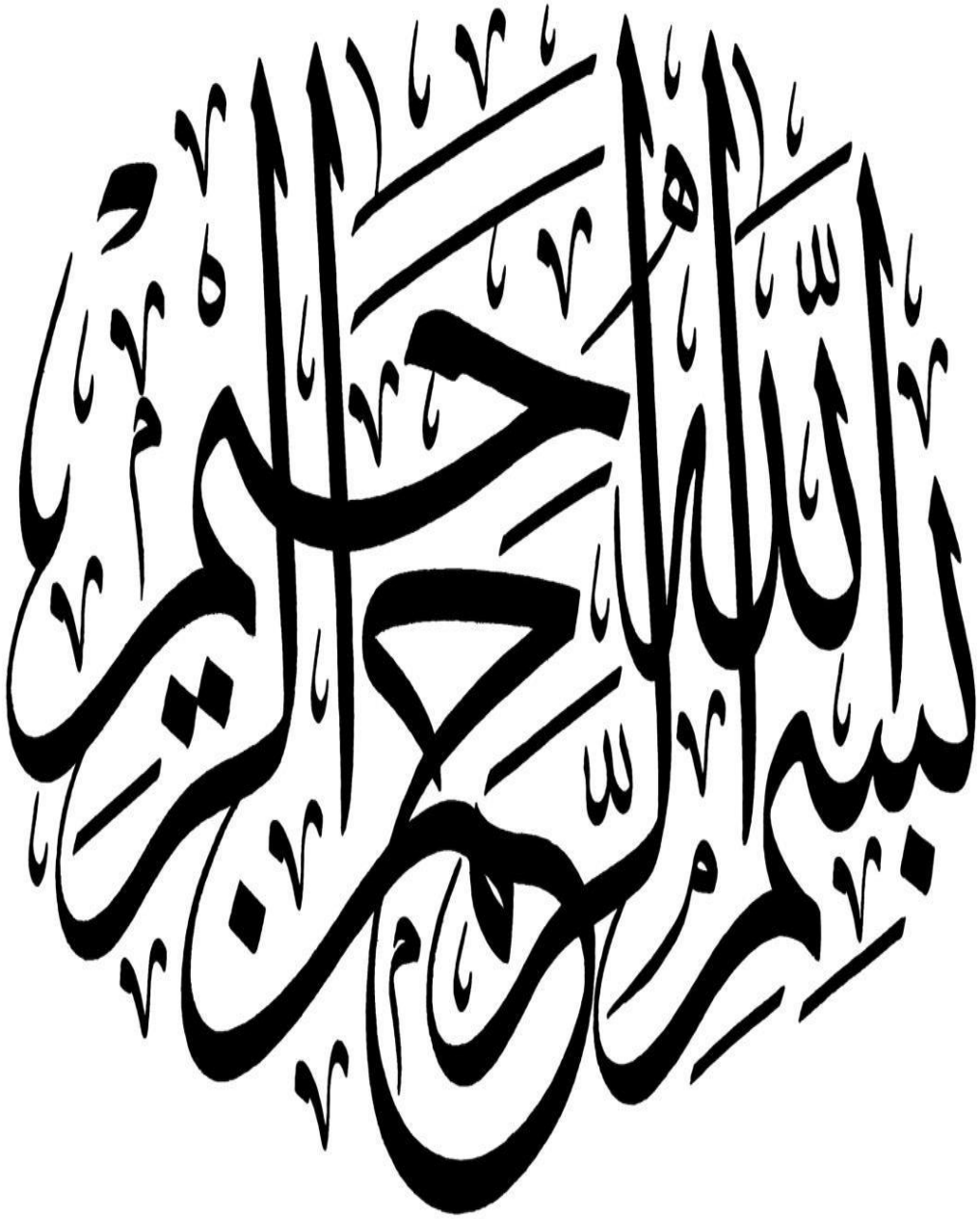
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)﴾

سورة البقرة

عملا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم الآية: 7

،وقوله صل الله عليه وسلم: « **من لا يشكر الناس لا يشكر الله** » .

نتوجه بآيات الشكر والتقدير المتزايد :

إلى من أمدنا بطاقة لا حدود لها ،وتغمدنا بأستار رحمته ،الذي نجده حين تشح الأفكار ،وتكثر السبل ،ولي نعمتنا ومعيننا :الله سبحانه وتعالى .

وبعد شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه العظيمة ،وآلائه الجليلة ،نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى التي لم تكتفي بالتوجيه والإرشاد في إنجاز عملنا ،بل كانت دائمة التفكير في إنجاز هذا البحث ،إلى من تحلت بمكارم الأخلاق ،وقدّرت العلم وأهله : الدكتورة المشرفة " الساكر مسعودة " .

كما نتقدم بالشكر والامتنان إلى كل أستاذ أوحى إلينا بفكرة ،وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بكلمة أو دعوة صالحة

ونتوجه بالشكر الجزيل إلى الهيئة المشرفة على مناقشتنا ؛لما لها من دور فعّال في النقد والمناقشة ، وتقديم كل نافع –بعونه تعالى–

اللهم وفقهم إلى ما تحبه وترضاه وبارك لهم في رزقهم وأعمالهم إنك سميع عليم .

فجزاهم الله عنا جميعا خير الجزاء .

مقدمة

تُعد النظرية الحجاجية من أهم النظريات اللسانية الحديثة ،التي تختص بدراسة الفعالية الخطابية ،الرامية إلى التأثير والإقناع ،الذي أصبح موضوعًا لافتًا للانتباه ،بسبب حُضوره الكلي أو الجزئي في مختلف الخطابات.

والحجاج يُعتبر من الأساليب التواصلية ،يعتمد أساسًا على تقديم الحجج والبراهين ؛ قصد التأثير في الطرف الآخر (المحجوج) ،وجعله مع أو ضد القضية المطروحة .وبما أنه طريقة من طرائق الإقناع ،فقد اهتم به الخطيب في بناء خطاباته ،التي تُعد ـ الخطابات ـ مرآة عاكسة لأفكاره ،والركيزة الأساسية في إيصال رؤاه وأفكاره ،وتحقيق المقاصد بين المحاجج (المرسل) والمحجوج (المرسل إليه) .

والملاحظ أن الخطابة العربية تعكس نضج الفكر العربي في هذا المجال ،حيث حضر فيها الحجاج بصفة فعّالة ،منها خطب سيدنا (علي كرم الله وجهه) ،التي اتسمت بطابعها الحجاجي المتميز .

والحجاج كأسلوب تواصلي يتحقق بمجموعة من الآليات اللغوية والبلاغية وشبه المنطقية ،وهذه الأخيرة التي يُدرج بين أساسياتها السلم الحجاجي الذي يُعتبر من أهم السمات الحجاجية التي تعتمد أساسا على التراتبية في توجيه الحجج ،وأهميتها تتجلى في ترتيب الحجج من حيث القوة والضعف ،وذلك بشكل سُلمي ؛للتأثير في المحجوج .

أما عن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار موضوعنا ،والموسوم بـ (السلالم الحجاجية في خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) نذكر الآتي :

ـ المكانة المرموقة التي تحتلها خطب علي كرم الله وجهه ،وهذا باعتبارها أكثر النصوص الأدبية تحقيقا لعملية الإقناع و التأثير في الطرف الآخر (المحجوج).

ـ الرغبة في التعرف على أهم مفاهيم الدرس الحجاجي .

ـ كشف آليات السلالم الحجاجية الموظفة في خطب علي كرم الله وجهه ،وبيان قدرتها في التأثير و الإقناع .

وقد سعينا من خلال هذه الدراسة إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة انطلاقا من إشكالية أساسية ،والمتمثلة في : ما مدى حضور السلالم الحجاجية في خطب علي كرم الله وجهه ؟،أهمها :

ـ ما المقصود بالحجاج ؟ وكيف كانت نشأته ؟

ـ فيم تتمثل السلالم الحجاجية ؟ وما هي قوانينها ؟

ـ ما هي آليات السلم الحجاجي الموظفة في خطب علي كرم الله وجهه ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها ،اعتمدنا على خطة سير ،قُسمت إلى فصلين ، تتقدمهما مقدمة ،ويُختتما بخاتمة .

حاولنا في الفصل الأول ،الذي خصصناه للجانب النظري ،ضبط المفاهيم الحجاجية الواردة في البحث .

أما الفصل الثاني ،فقد مثله الجانب التطبيقي ،وتمحور موضوعه حول آليات السلم الحجاجي الموظفة في خطب الإمام علي كرم الله وجهه .

أما الخاتمة ،فقد تضمنت ملخصًا لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال موضوع بحثنا.

ومن أجل توثيق مادتنا العلمية ،والإجابة عن الإشكالية المطروحة ،وجب علينا العودة إلى كم من المصادر و المراجع ،أهمها :

ـ محمد عبدة .نهج البلاغة .

ـ أبو بكر العزاوي .اللغة والحجاج .

ـ عبد الله صولة .الحجاج أطره ومنطلقاته .

ـ طه عبد الرحمان .اللسان والميزان أو التكوثر العقلي .

ـ عبد الهادي ظافر الشهري .استراتيجيات الخطاب .

أما المنهج الذي اتبعناه في الدراسة ،فهو المنهج الوصفي التحليلي ،الذي يقوم على وصف وتحليل السلالم الحجاجية الموظّفة في خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكأي بحث لا يخلو بحثنا من الصعوبات ،ولعل أكبر صعوبة واجهتنا كثرة المصادر والمراجع التي تتحدث عن هذا الموضوع ،وتداخل موضوع الحجاج مع معارف أخرى .

وفي الختام نحمد الله على عونه لنا ،ونسأله التوفيق و المزيد من النجاحات ،ونرجوا أن يكون هذا البحث ثمرة متواضعة من أجل الوصول إلى نتائج مرضية والاستفادة منها .

الفصل الأول

المفاهيم الحجاجية الواردة في البحث

1- تعريف الحجاج :

الحجاج كأي مصطلح تداولته جُل كتب التراث العربي والغربي، وحظي باهتمام الدارسين من مناطقه، وفلاسفة، وعلماء اجتماع، وعلماء النفس ...،أدى هذا إلى تعدد مفاهيمه اللغوية والاصطلاحية .

1-1- المعنى اللغوي :

جاء الحجاج في لسان العرب "لابن منظور" بمعنى (الحجة، البرهان، الجدل ...، وقيل الحجة ما دفع به الخصم، والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، والتحاج هو التخاصم، والرجل المحجاج هو ا لرجل الجدل، و التحجاج : التخاصم، وجمع الحجة : حُججٌ، وحِجاجٌ، وحاجّه ومحاجّةً حجاجا : نازعه الحُجة، وقال الأزهري : (وإنما سميت حجة لأنها تُحجُّ أي تقصد لأن القصد لها و إليها)[1].

نلاحظ من خلال هذا التعريف أن الحجاج عند " ابن منظور" ارتبط بلفظ (الحجة)، وهي بمعنى البرهان، والدليل، والتخاصم، والجدل

أما في (مقاييس اللغة العربية) "لأبن فارس" فقد ورد في مادة (حجج) أي : (الحاء، والجيم أصول أربعة : فالأول القصد، وكل قصد حج ...، والأصل الآخر الحجة وهي السنة لا يكون إلا مرة واحدة، والأصل الثالث الحجاج : وهو العظم المستدير حول العين، والأصل الرابع : الحجْحَجَة النِكوص يُقال :حموا)[2] .

من خلال هذا التعريف، يمكننا استخلاص المعاني التالية للحجاج، والتي هي :القصد، والسنة، والصلابة، أو الإحاطة، والتوقف .

---

[1] ابن منظور .لسان العرب .ط1 .بيروت :دار الصدر، 2003م .ج2 .مادة (ح ج ج) .ص 288 .

[2] أحمد بن فارس.مقاييس اللغة .دط .تحق :عبد السلام محمد هارون .دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(1399هـ \1979م) .ج2 .مادة (حجج) .ص288.

2-1- المعنى الاصطلاحي :

إن المفهوم الاصطلاحي للحجاج واسع، ويصعب تحديده وتعريفه ؛وذلك لتشعب مجالاته وميادينه، كالفلسفة، والبلاغة، والمنطق، والخطابة، والقضاء، والسياسة ...،ولكي نتمكن من الحصول على مفهوم دقيق ؛ينبغي علينا البحث في أمهات الكتب، وما قاله علماؤنا قديما وحديثا، وهذا ما سنعرضه في العنصر الموالي الذي يدور محتواه حول مفهوم الحجاج قديما وحديثا عند الغرب والعرب .

2- مفهوم الحجاج قديما و حديثا عند الغرب و العرب :

2-1- الحجاج عند الغرب :

2-1-1- قديما :

لقد حظي الحجاج بأهمية بالغة لدى الغرب القدامى، وخاصة لدى الفلاسفة اليونانيين، الذين كانوا سباقين إلى هذا المجال .

2-1-1-1- الحجاج عند السفسطائيين :

السفسطة أو السفسطائية مذهب فكري فلسفي نشأ في اليونان نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي في بلاد الإغريق، وقد تميز روادها بالذكاء والمعرفة والكفاءة في كل شيء إذ لعب وجودهم دورًا كبيرًا في تطوير القولية التواصلية والحياة الفكرية العامة [1].

إن الفلسفة في معناها اللغوي اليوناني Sophia تفيد "الحكمة " ؛ وبالتالي السفسطائي sophiste هو المنتسب للسفسطة، أي الحكيم [2].

كان السفسطائيون يُخاطبون الناس قائلين :(إن الحقيقة ما يراه الفرد حقيقة والفضيلة ما يبدو له فضيلة، وقد انتهى بهم هذا المذهب إلى التأكيد على أن اللجوء للحيل الخطابية

[1] ينظر:مجدي الكيلاني .تاريخ الفلسفة من منظور معاصر .ط1.دار التنوير،2008م .ص25.

[2] ينظر:رشيد الراضي.الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار .ط1 .دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010م.ص12 .

والألاعيب القولية أمر مشروع إن كانت نتيجته في نهاية المطاف تحقيق مصلحة شخصية راجحة، وقد برعوا براعة كبيرة في توظيف الأساليب البلاغية والخطابية ...، في كسب تأييد الجمهور)[1].

وكان السفسطائيون (يزعمون أن الخطيب البليغ يستطيع أن ينصر الحق كما يستطيع أن ينصر الباطل بقوة حجته أو براعته بالأقيسة والقضايا الظاهر منها والمضمر وذلك لإيمان هذه الطائفة بأن الحقيقة ليست شيئا موضوعيا قائم بذاته، بل شيء نسبي، والإنسان هو مقياس كل شيء، فالحق هو ما يراه كل إنسان حقا، والباطل ما يراه باطلا)[2].

انتشر الحجاج السفسطائي بأثينا و اكتسح فضاءاتها، وفتن به شبابها وهو ما دعا أفلاطون إلى مهاجمته، فقد خشي على الإنسان و المدينة منه ؛لأنه حجاج يمثل أكبر الخطر على القول والإنسان في رأيه، حجاج يزيف استعمال القول، القول بما هو فضاء التواصل بين الإنسان و الإنسان ...،فهو حجاج يقوم على التملق flatter، والتملق تسلط بالقول ماكر ومقنع[3].

[1] المرجع نفسه .ص13.

[2] هدى وصفي وأخريات .في فن الحجاج والجدل .دط. جامعة عين شمس كلية الألسن، 2002 م .ص17.

[3] ينظر:هشام الريفي .الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم .دط .إشراف حمادي حمود .دت. ص 80.

وأما العلاقة بين الحجاج والسفسطة فتكمن في الاهتمام بالكلمة والجملة والبحث من خلالهما عن سبل الإقناع وتغير مواقف الناس، واستعان السفسطائيون في سبيل تحقيق ذلك بخبراتهم في مقامات الناس، وبآليات إجراء اللغة، وعمدوا في ممارساتهم للحجاج إلى حججهم على فكرة (النفعية) المتعلقة (باللذة) أي الهوى، وليس النفع المتعلق بالمُثل والخير، وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام الذي يدور فيه الحوار، وذلك اعتمادا على توظيف سلطة القول Force du langage في الاحتيال على الحقيقة والخير إذا كانا لا يخدمان غرض المحجاج[1] .

ولهذا السبب تعرضت هذه الحركة للهجوم من قبل الفلاسفة العقلانيين، أمثال "سقراط" و" أفلاطون" و" أرسطو" (فما لبثوا أن واجهوا أعنف الردود من سقراط، محاولا بذلك إنقاذ الشباب اليوناني من تضليلهم، فقد اتهمهم بتمويه الخطأ بالمنطق المزخرف وقوة البلاغة، واحتقرهم لتقاضيهم أجورا مرتفعة من تلاميذهم، واختلف معهم لقولهم أن الإنسان معيار الحقيقة ...، وفي مفهوم الأخلاق التي تعني عنده السعادة في حين تعني عند السفسطائيين سيطرة الإنسان على غيره، كما خالفهم في حصرهم الخطابة في المؤسسة القضائية ، وعمد على توسيع الخطاب الحجاجي ليشمل كل الممارسات اليومية)[2].

ويمكن القول إن للسفسطائيين الفضل في تطوير الخطابة و البلاغة ، ويُعد "كوراكس" أول من ألف الخطابة لمساعدة تلميذه "تينزياس"، ويمكن القول أن الحجاج السفسطائي هو التلاعب باللغة والتمويه والخداع ابتغاء التأثير في المتلقي وإقناعه .

[1] ينظر:حامد ناصر الظالمي، نشأة الحجاج، مجلة آداب البصرة، ع 73،جامعة البصرة، 2010م، ص 4.

[2] المرجع نفسه .ص 6.

2-1-1-2- الحجاج عند "أفلاطون" :

رفض "أفلاطون" الحجاج السفسطائي وذلك لخشيته على الإنسان والمدينة (أثينا)، وهذا باعتباره ـ الحجاج السفسطائي ـ خطر على القول والإنسان .

وسار "أفلاطون" في محاوراته مع السفسطائيين على خطى أستاذه سقراط، وأفرد لمواجهة الممارسة الحجاجية السفسطائية محاورتين لـ "سقراط" معهم، أولهما أسماها "جرجياس" والثانية "فيدر"،واعتمد في نقده على إستراتيجية واحدة هي إستراتيجية الكشف ؛لأنه رأى أن مقارعته لهم تُعد نحوٍ معين كشفا للقناع، ورفعا للستار عن أغاليطهم ومزاعمهم و تلاعبهم بالألفاظ .ومعظم النقد الذي وجهه إليهم كان يدور حول الحجاج و مقصده في ضوء قيمتي الحق والخير[1].ففي محاورته الأولى "جرجياس" (فحص موضوع الخطابة في ضوء المقابلة علم/ ظن، وذكر أن الإقناع نوعان : إقناع يعتمد على العلم وإقناع يعتمد على الظن، وهذا الثاني هو موضوع الخطابة في رأيهم)[2].

وما يمكن استخلاصه مما سبق أن الإقناع الذي يعتمد على العلم يكون مقيّدًا للإنسان، أما الإقناع الظني الذي يقوم على المحتمل و الممكن يكون غر مقيّدًا .

أما محورته الثانية "فيدر" فاعتمد فيها (الموازنة والمعارضة، والنص الذي دارت حوله لم يكن خطبة بل كان نصًا حجاجيًا في الحبّ .وفيه حَلِمَ "أفلاطون" بخطاب جديرًا بالفيلسوف، خطاب يمكن أن يُقنع الآلهة نفسها، والآلهة عنده كانت عنوانًا للخير والحق والجمال، أي عنوان قيم أساسية لبناء الإنسان)[3].

وعليه نقول (إن أفلاطون في نقده لخطابة السفسطائيين لم يُعالج الحجاج بوصفه صناعة قول بقدر ما نظر إليه بأنه قول صانع للإنسان والمجتمع .والخطابة عنده كانت تمثل فعلا قوليًا أخلاقيًا، وإذا كان السفسطائي يستعمل الخطابة لكسب القضية، فأفلاطون

---

[1] ينظر:المرجع السابق .ص ص 5،6.

[2] هدى وصفي وأخريات .الحجاج والجدل .ص 20.

[3] المرجع السابق .ص 6.

يهمه منها تحقيق الفضيلة للنفس، وشبه صناعة الخطابة بالطب، وأوكل إليها سلامة النفس الإنسانية، كما أوكل الناس إلى الطب سلامة الجسد، في حين كان السفسطائيون يشبهون الخطابة ببعض رياضيات المصارعة عند الإغريق) [1].

نستخلص مما تقدم أن تصور "أفلاطون" للخطابة يختلف عن تصور السفسطائيين لها ؛حيث اعتمد "أفلاطون" على معيار العلم والغرض منه الوصول إلى الحقيقة، لا الاعتماد على الممكن والمحتمل كما هو الحال عند السفسطائيين. **2-1-3-1- الحجاج عند "أرسطو":**

يُعد "أرسطو" فيلسوفًا موسوعيًا، كما يُعد كتابه (الريطوريقا* أو الخطابة) أهم وأقدم كتاب اهتم بالإقناع، ويُذكر أن "أرسطو" استدرك عن "سقراط" رفضه للخطابة، وأكد بدوره على أهمية الخطابة في تحقيق العدالة ؛حيث عرفها بقوله (قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة)[2].

أكد "أرسطو" من خلال أبحاثه و دراساته أن للحجاج علاقة بمجالين آخرين، هما: الخطابة والجدل، ففصل بين الجدل والخطابة، و بهذا خالف أستاذه "أفلاطون"، الذي يعتبر الخطابة جدلية فلسفية، موضوعها الحقيقة، فـ "أرسطو" نظر للحجاج من زاويتين متقابلتين : زاوية بلاغية، وأخرى جدلية.

وجعل "أرسطو" الخطابة على ثلاثة أنواع، تتمثل في الآتي[3]:

- الخطابة المشورية (الاستشارية) : تتخذ طابعا سياسيا، هدفها تحقيق الخير لصالح العالم وفق قواعد ديمقراطية، وزمنها المستقبل.

---

[1] المرجع السابق .ص6.

* الريطوريقا : فن الخطابة في اللغة اليونانية.

[2] أرسطو طاليس .الخطابة، الترجمة العربية القديمة .دط .تحق: عبد الرحمان بدوي .بيروت: دار العلم، 1979م. ص ص8،9.

[3] محمد طروس .النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية .ط1. المغرب :دار الثقافة، 2005م .ص 15.

ـ **الخطابة القضائية (المُشاجرية)** : يهدف القضاة من خلالها إلى معرفة الحقيقة ابتغاء تحقيق العدالة، وزمنها الماضي.

ـ **الخطابة القيمية (الاحتفالية)** : نوع يمدح أو يذم الأشخاص، أو الأفكار في مقامات أخرى، وزمنها الحاضر.

وقد ميّز "أرسطو" بين ثلاثة مستويات حجاجية تمثلت في:

(الايتوس، والباتوس، و اللوغوس) في علاقاتها بالأبعاد الثلاثة للفعل الخطابي المتجسد في (الخطيب، المستمع، الخطاب)[1].

ويمكن تجسيد ما تقدم في المخطط الآتي :

المستويات الحجاجية عند "أرسطو

الايتوس (Ethos)	الباتوس (Pathos)	اللوغوس (logos)
ما يتعلق بالخطيب وأخلاقه	ما يتعلق بالمتلقي / السامع وحالته النفسية	ما يتعلق بالخطبة/ القول

وجعل "أرسطو" المكونات الرئيسية للخطاب ثلاثة، وهي [2]:

ـ **الإيجاد (الحجج أو التصديقات)** : تحضير ما يقال.

ـ **الترتيب** : تنظيم المادة المحصل عليها.

ـ **الأسلوب (العبارة)** : إضافة المحسنات البلاغية .وهي مكونات نصية.

وهناك مكونات غير نصية تتمثل في الآتي :

ـ **الذاكرة** : الرجوع إلى الذاكرة.

ـ **الإلقاء** : تشخيص الخطاب شأن الممثل :الحركات والإنشاد.

[1] المرجع نفسه .ص ص8،9.

[2] ينظر:هنريش بليت. البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص .دط. تحق: محمد العمري، دت. ص 33.

وتسمى الحجج عند "أرسطو" بالتصديقات وقسمها إلى قسمين حيث يقول :(فأما التصديقات فمنها بصناعة ومنها بغير صناعة، وقد أعنى باللاتي بغير صناعة تلك اللاتي ليست تكون بحيلة منا، لكن بأمور متقدمة، كمثل الشهود والعذاب والكتب والصكاك وما أشبه ذلك، وأما بالصناعة فما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة أو بأنفسنا)[1].

كما بين "أرسطو" أوجه الاتفاق و الاختلاف بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي في الآتي[2] :

أولا : وجوه الاتفاق بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطبي :

1. يوجد اتفاق بين الحجاجين في سبب النشأة، فهما لا يكونان إلا حيث يكون خلاف أو صراع.

2. ليس للحجاج موضوع محدد، غير أن الأول (الجدلي) أوسع مدى من الثاني (الخطابي)، فهو يمارس في فحص قضايا الفكر، كما يمارس في توجيه الفعل فلا صلة للثاني في مقابل ذلك بالقضايا المتعلقة بالبحث الفكري فمجاله هو توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه.

3. يشترك الحجاجان في استعمال الشكلين الاستدلاليين الجامعين عن أرسطو (القياس والاستقراء)، وإن اختلف استعمال كل منهما لهذين الشكلين، ففي الجدل قياس جدلي وهو قياس تبكيت (نفي) في الغالب، وفيه استقراء جدلي .وفي الخطبة قياس خطبي وفيها مثال، والمثال نوع من الاستقراء، وفي الاستدلال بشكليه، القياس و الاستقراء بنية تتكون من ثلاثة أركان :مقدمات، علاقة استنباط، ونتيجة، وعلى هذه البنية يقوم البرهان والحجاج.

[1] أرسطو طاليس .الخطابة .ص 9.

[2] هدى وصفي وأخريات .في فن الحجاج والجدل .ص24.

ثانيا : وجوه الاختلاف :وتتمثل في[1]:

1ـ المناقشة الجدلية "الحجاج الجدلي " جنس تخاطبي يضطلع بفعل البناء فيه طرفان، ومن ثم سمى الإغريق القول الذي ينتسب إليه هذا الجنس الحجاجي دياليكيتكون بمعنى الحوار ...،وهذان الطرفان ينقسمان إلى فعلين أساسيين، هما :السؤال والجواب، لذا سمى "أرسطو" الأول السائل والثاني المجيب.

أما الخطبة فجنس خطابي، يضطلع بفعل البناء فيه طرف واحد، ولا يقوم على السؤال والجواب، وهو قول يُنشئه وحده والغرض منه الإقناع.

2ـ المقول إليه في الحجاج الجدلي فيلسوف أو طالب في الفلسفة .وأما القول إليه في الخطبة فهو بالأساس الجمهور.

3ـ الخطاب الجدلي موجه إلى السامع كوني والحجاج الخطبي يوجه إلى أنماط السامعين.

تبين مما سبق ذكره أن أرسطو رفض حجاج السفسطائيين باعتباره قائم على المغالطة، ونظر إلى الحجاج من زاويتين إحداهما بلاغية والأخرى جدلية، واعتبرهما عاملين في تحديد المعنى الذي يُقدمه لموضوع الخطاب .كما فَصّل في الاختلاف القائم بين الحجاج الجدلي والخطبي ؛حيث منح للأول العمومية بالنسبة للثاني.

2-1-2ـ حديثا :

بعد تطرقنا إلى جهود الغرب القدامى و نظرتهم إلى الحجاج، التي تميّزت بجانب جدلي من جهة، وبجانب بلاغي من جهة أخرى، وهذا الموروث القديم الذي يمتد

[1] المرجع السابق .ص25.

جذوره إلى اليونان وبالتحديد إلى أرسطو الذي أرسى الدرس الحجاجي، والذي قامت عليه نظرية الحجاج المعاصر، وسيتضح هذا في المعلومات التي سنقدمها لاحقا.

لقد اتخذ الحجاج في العصر الحديث وجهتين مختلفتين، إحداهما بلاغية والأخرى تداولية ؛وسنحاول توضيح هذا من خلال إلقاء الضوء على جهود أهم الباحثين، وإسهاماتهم في إثراء الدرس الحجاجي، أمثال : التشيكي "شايم بيرلمان"(chaim perelman)، وزميلته البلجيكية "تيتيكا" (lucieolberechts ـTytica) اللذان يمثلان نظرية البلاغة الجديدة أو نظرية الأرسطيين الجدد، من خلال مصنفهما (البلاغة الجديدة) .والفرنسيان "أزفالد ديكرو" (O.Ducrot)، و"أسكومبر" (Oskoumber) في نظرية الحجاج اللغوي أو نظرية التداولية المدمجة، و"ميشال مايير" (Michel mayer) في نظرية المساءلة أو نظرية الحجاج الخطابي.

2-1-2-1- الحجاج عند "بيرلمان" و"تيتيكا" :

من أهم الكتب التي اشتهر بها الباحثان (بيرلمان وزميلته تيتيكا) في الحجاج كتابهما المشترك الموسوم بـ (المصنف في الحجاج)، الذي ظهر من قبل باسم (الخطابة الجديدة)،وهو كتاب أُلف عام 1958م، وشمل هذا الكتاب بحوثهما و مقالتهما، وكانت غايتهما في النهاية إخراج حجاج قائم بذاته له مميّزاته وأهدافه ؛ولذلك عملا الباحثان على تخليص الحجاج من اتهامه بالمناورة والمغالطة، والتلاعب بالجمهور من ناحية، ومن ناحية أخرى عملا على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال ...،بعيدا عن الاعتباطية واللامعقولية، اللذين يطبعان الخطابة عادة، وبعيدا عن الالتزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل[1].

يُعرف المُؤلفان الحجاج بأنه (جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الإقناع بما يُعرض عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع معبرا عن غاية

[1]ينظر:عبد الله صولة .الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم .ص298.

الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه إلى القيام بالعمل)[1].

ويقدم (برلمان و تيتيكا) في موضوع آخر تعريفا للحجاج بقولهما (موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بها يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم)[2].

أما غاية الحجاج عندهما فقد حددها بيرلمان بقوله (إن هدف نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الخطابية ؛التي تسمح بالإثارة أو تعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تُقدم لهم)[3].

كما قسما أيضا الحجاج بحسب نوع الجمهور إلى نوعين هما[4]:

1- الحجاج الإقناعي :هو حجاج يرمي إلى إقناع جمهور خاص.

2- الحجاج الإقتناعي :هو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل فهو عام.

يتبيّن لنا من خلال ما سبق أن كل من (بيرلمان و تيتيكا) عملا على تخليص الحجاج من جهة من تهمة المناورة والمغالطة والتلاعب، ومن جهة أخرى من صرامة الاستدلال، فالحجاج عندهما حوار غير مرتبط بالجدل، كما رأينا عند أرسطو .وأن نظرية الحجاج تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية، وغايته تقوية درجة الإذعان لدى السامعين بشكل يَحثُهم على العمل المطلوب.

---

[1] سامية الدريدي .الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني هجري .ط1 .الأردن :عالم الكتاب، (1428هـ/2008م) .ص21.

[2] عبد الله صولة .في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات .ط1. تونس :مسليكياني للنشر، 2011م.ص13.

[3] محمد طلحة .تداولية الخطاب السردي .ط1.الأغواط :منشورات الحياة الصحافة، 2008م .ص126.

[4] المرجع السابق .ص15.

كما قاما الباحثان بضبط مجموعة من المنطلقات الحجاجية، والتي هي بمثابة مسلمات، ومنها ينطلق الخطيب في الاستدلال، تتمثل في الآتي :

❖ **الوقائع** :(Les Faits) تمثل الوقائع (ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس، إن الوقائع لا تكون عرضة للفحص أو الشك، وهي تشكل نقطة انطلاق ممكنة للنجاح ، وتنقسم إلى وقائع مشاهدة معاينة من ناحية، ووقائع مفترضة من ناحية أخرى)[1].

❖ **الحقائق** :(**Les réalité**) وهي أنظمة أصعب تعقيدا من الوقائع، وتقوم على الربط بين الوقائع، ومدارها النظريات العلمية أو المفاهيم الفلسفية أو الدينية [2].

❖ **الافتراضات** :(Les présomptions) وهي (شأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة، ولكن الإذعان لها و التسليم بها لا يَكونان قويّين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما، والافتراضات إنما تُحدد بالقياس إلى العيادي **normal Le**،أو المحتمل **Le vraisemblable**، ولكن هذا العيادي وهذا المحتمل يتغيران بتغير الحالات)[3].

❖ **القيم** :(**Les valeurs**)يستطيع (الخطيب أن يعمد إلى استخدام القيم وهرميتها للرفع من درجة إذعان الجمهور لما يُطرح عليه من آراء، والقيم نوعان :قيم مجردة من قبيل العدل و الحق، وقيم محسوسة من قبيل الوطن، المسجد، الكنيسة)[4].

❖ **الهرميات** :(**Les hiérarchies**) مما لا شك فيه (إن القيم ليست مطلقة، وإنما هي خاضعة لهرمية ما، فالجميل درجات وكذلك النافع، والهرميات بعد ذلك نوعان :مجردة :مثل اعتبار العدل أفضل من النافع، ومادية محسوسة : كاعتبار الإنسان أعلى درجة من الحيوان، والإله أعلى درجة من الإنسان)[5].

---

[1] هدى وصفي وأخريات .في فن الحجاج والجدل .ص83.

[2] ينظر :عبد الله صولة .الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته .ص309.

[3] عبد الله صولة .في نظرية الحجاج .ص25.

[4] هدى وصفي وأخريات .في فن الحجاج والجدل .ص84.

[5] عبد الله صولة .في نظرية الحجاج .ص26.

❖ **المعاني أو المواضع :(Les leux)** يلجأ إلى هذه المقدمات لرفع درجة إذعان الجمهور، وهي أعم من القيم، والمعاني أو المواضع عند "سيشرون" في كتاب "المواضع" يُطلق عليها "مخازن الحجج"، وتنقسم المواضع إلى :مشتركة أو مبتذلة يمكن تطبيقها على علوم مختلفة كموضع الأكثر والأقل،ومواضع خاصة تكون وفقا على علم بعينه أو نوع خطابي بعينه لا يتعداه إلى غيره [1].

وتنقسم المواضع بدورها إلى أنواع:

. مواضع الكم :تكمن (خاصيتها في وحدتها الشكلية في مواجهة الجمع مثل :موضع الحق يباين كل ما عداه من باطل)[2].وهي المواضع التي تثبت أن شيئا أفضل من شيء آخر لأسباب كمية .من ذلك مثال أرسطو في المواضع **Topique** ؛وهو أن المال أفضل من المال الأقل وفرة[3].

. مواضع الكيف :أما مواضع الكيف فهي (عكس الكم من ناحية أنها تستند قيمتها من خاصية وحدانيتها كمثل صوت الحق لا يُعلى عليه مهما كان عدد خصومه)[4].

. مواضع أخرى :منها مواضع الترتيب، ومواضع الوجود، ويطلق على هذه المواضع مصطلح "مواضع الفضل أو المؤثر"[5].

كما عمل الباحثان إلى حصر التقنيات الحجاجية إلى طريقتين، هما :طرائق اتصالية و أخرى انفصالية .أما الاتصالية، فهي الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة في الواقع، وتتيح ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها ؛أي إبرازها في هيكل أو بنية واضحة أو لغاية، تقوم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما ايجابيا أو سلبيا[6].ومن أشكالها :الحجج

---

[1] ينظر:عبد الله صولة .الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته .ص312.

[2] محمد سالم الأمين الطلبة .الحجاج في البلاغة المعاصرة .ط1.لبنان :دار الكتاب الجديد، 2008م .ص3.

[3] عبد الله صولة . في نظرية الحجاج .ص27.

[4] عبد الله صولة .الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته .ص312.

[5] ينظر:عبد الله صولة .في نظرية الحجاج .ص28.

[6] ينظر:المرجع السابق .ص311.

شبه المنطقية، والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج المؤسسة لبنية الواقع .وأما الانفصالية، فهي تقنية حجاجية تقوم على الفصل والتفكيك بين العناصر عادة كل لا يتجزأ[1].

وخلاصة القول السابق تعتبر الوسائل أو التقنيات الحجاجية التي وضعها الباحثان لها أهمية بالغة في الخطاب، ومن خلال هذه المقدمات يتمكن المتلقي رفع درجة إذعان الجمهور.

2-1-2-2- الحجاج عند "ديكرو" و"أنسكومبر" :

يُعد "ديكرو" من مؤسسي نظرية الحجاج، باعتبارها نظرية لسانية تهتم بدراسة الوسائل اللغوية سنة 1973م، وهو أول من أدخل التداولية في اللسانيات .وتعود مرجعية نظرية الحجاج إلى أعمال" أوستن" ولاسيما كتابه (كيف نصنع الأشياء بالكلمات)، ومصنفات "جون سيرل" في كتابه (الأعمال اللغوية) .

تحدث كل من "ديكرو" و" أسكومبر" عن الحجاج الذي اختلف حسب وجهة نظرهما عن حجاج "بيرلمان"، ويُعرف الحجاج حسب "ديكرو" و"أسكومبر" على أنه :(تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تُستنتج منها)[2].

وهذه النظرية حسب "ديكرو" تُبين أن اللغة في ذاتها وجوهرها تحمل وظيفة حجاجية، بمعنى أن هناك عدة مؤشرات لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها[3].

كما تأسست رؤيتهما على ضرورة التمييز بين الحجاج باعتباره خطاب، والاستدلال باعتباره منطق ؛لأنهما ينتميان إلى نظامين مختلفين، حيث يرى أن الأقوال التي تتكون منها الاستدلال منفصلة عن بعضها البعض ؛أي لا تمثل تسلسل الأقوال نفسها، بحيث كل قول

[1] ينظر:المرجع نفسه .ص342.

[2] أبو بكر العزاوي .اللغة والحجاج .ط1 .الدار البيضاء .المغرب :العمدة في الطبع، (1426هـ/2006م) .ص16.

[3] ينظر:المرجع نفسه .ص14.

يُعبر عن قضية ما، أي يصف حالة ما، أو وضعا من أوضاع العالم باعتبارها واقعيًا أو متخيلا، ولهذا فإن تسلسل الأقوال في الاستدلال ليست مؤسسا على الأقوال نفسها، لكنه على القضايا المنطقية المتضمنة فيها .أما الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية وتسلسلها داخل الخطاب[1].

كما تتسم هذه النظرية بعدة سمات، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الآتي[2]:

أ ـ السياقية :العنصر الدلالي الذي يُقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، السياق هو الذي يُصيره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة قد تكون حجة أو نتيجة، أوقد تكون غير ذلك حسب السياق.

ب ـ النسبية :لكل حجة قوة حجاجية معينة يُقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويُقدم خصمهُ حجة مضادة أقوى بكثير منها .وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف.

ج ـ القابلة للإبطال :إن الحجاج اللغوي نسبي ومرن وتدريجي وسياقي، بخلاف البرهان المنطقي والرياضي، الذي هو مطلق وحتمي.

والعلاقة التي تربط بين الحجة والنتيجة هي التي تُدعى "العلاقة الحجاجية "، وهي تختلف بشكل جذري عن علاقة الاستلزام أو الاستنتاج المنطقي، ويمكن أن نرمز لها على الشكل الآتي :

ح ⟵ ن

وبناء على ما سبق تُعتبر نظرية الحجاج اللغوي التي أسسها "ديكرو" و"أسكومبر" أنموذجا حديثا في الدراسات اللسانية المعاصرة، في توجهها نحو التداولية، حيث تأسست رؤيتهما على التمييز بين الحجاج الخطابي والاستدلالي المنطقي.

[1] ينظر :المرجع نفسه .ص17.

[2] . المرجع السابق .ص ص19،20.

إن الحجاج عندهما قائم في جوهر اللغة، وهذه الأخيرة تحمل في طياتها وظيفة حجاجية، تتجلى في بنية الأقوال، بمعنى كل قول هو بالضرورة قول حجاجي.

ومن أهم النتائج التي توصل لها "ديكرو" من خلال عمله، ما يسمى بالسلم الحجاجي.

3.2.1.2. الحجاج عند "ميشال ماييـر" :

يُعد "ميشال ماييـر" من مؤسس نظرية المساءلة، وهذه الأخيرة إحدى النظريات المعاصرة التي قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامة .كما قدم تعريفا للحجاج بقوله (الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة على ظاهر الكلام وضمنه)[1] .فالحجاج لديه متصل بطبيعة الكلام ووظيفته التساؤلية، فالسؤال عنده عبارة عن مشكلة تتطلب إجابة تكون موجودة في هذه المشكلة، والمتلقي هو الذي يطرح الأسئلة من خلال الجواب المصرح به، ومن هنا يُوظف "ماييـر" مفهومين أساسيين في عملية الحجاج هما : الضمني والمصرح به. فالمصرح به هو ظاهر السؤال، أما ما هو ضمني فتلك الإمكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد[2].

وخلاصة القول المتقدم، نحدد الحجة والنتيجة ونربطها بالسؤال والجواب.

كما أرسى "ميشال ماييـر" أسس نظرية المساءلة، والتي تتمثل في ثلاثة أسس، وهي[3]:

1ـ المساءلة والاستشكال : يرى" ماييـر" أن المساءلة خاصية متأصلة و متجذرة في نظام اللغة، فهو يتابع"ديكرو" الذي ربط الحجاج ببنية اللغة ؛حيث طبع كل الانجازات اللفظية والمبادرات الكلامية، فما دام الاختلاف الاستكشافي مكون من أسئلة وأجوبة، فهذا يعني أن النشاط الخطابي ليس إلا مسارا للمساءلة ؛أي إن اللغة إثارة للسؤال، ومقاربة لما هو مشكل، ومن هنا ربط "ماييـر" بين السؤال والمشكل.

---

[1] عبد الله صولة .الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية .ط1 .بيروت :دار الفارابي، 2007م .ص27.

[2] ينظر :محمد علي القارصي .البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماييـر، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم .ص394.

[3] نعيمة دهش فرحان الطائيّ، نظرية المساءلة والبلاغة لميشال ماييـر مقاربة في الأصول والأسس والمثيلات، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع43، نسيان، 2019م، ص2189.

2- المساءلة والحجاج : أحدث "ميشال ماييـر" تعديلا على التقسيمات التي جاء بها أرسطو لمقومات الإقناع الخطابي (الايتوس، والباتوس، واللوغوس)، فجعلهما أكثر تركيزا في نظريته، حيث صنفها إلى ثلاثة أركان، هي :(الأخلاق، السؤال، الجواب)، فجعل الركنين الأخيرين يمثلان الاستشكال.

كما اشتغل "ماييـر" بمبدأ (المفاوضة Négociation) مختزلا العناصر الثلاثة في عنصرين أساسيين هما :عنصر الايتوس (الأخلاق والصفات)، وعنصر العلاقة الثنائية التي تجمع بين المتكلم والمتلقي، والتي يحددها اللوغوس في (الخطاب/الشكل)؛ ويعتبر هذا التصور الوظيفي للحجاج تجاوز للفهم التقليدي "أرسطو" و"بيرلمان" الذي ينحصر في تحقيق الاستمالة والإقناع.

3- المساءلة والحوار : يُعد الحوار علاقة تخاطبية بين المخاطِب والمخاطَب، التي تتغير وتتنوع فيها الأدوات في ظاهرتي[1] :

- التشخيص :خاصية تلفظية تتغير بحدة العلاقة الخطابية مع الشريك.

- المقام :وهو مفهوم تجريدي يدل على الموقف التواصلي، والمقام شرط تداولي وبلاغي مؤثر في الأداءات ؛لأنه يُعنى بضرورة موافقة أفعال القول لمقتضى الحال والموقف الخاص به.

2-2- الحجاج عند العرب :

2-2-1- قديما :

من خلال الدراسات العربية القديمة يمكن رصد الحجاج في وجهتين، أولهما: مرحلة التنظير (تسمى بمرحلة الجاحظ) .أما الأخرى تمثل :مرحلة ما بعد التنظير (ضبط بعض سياقاته الإقناعية).

[1] المرجع السابق .ص2189.

2-2-1.1- الحجاج عند "الجاحظ ":

ويُمثل "الجاحظ" (ت255) الوجهة الأولى، ولهذا يُعد مؤسسا لنظرية الحجاج العربي من خلال كتابه (البيان والتبيين)، وقد ورد الحجاج عنده بمصطلح (البيان)، والذي يُعرفه قائلا (والبيان اسمٌ جامعٌ لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامعُ إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل ؛لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع)[1].

ويتضح مما سبق العلاقة بين الحجاج والبيان ؛إذ يمكن اعتباره من البحوث المهمة في الحجاج وذلك للارتباطات الآتية :الكشف عن المعنى، ويكون هذا بدليل الفهم والإفهام والغاية من الكلام، وهتك الحجاب .وهذا يعني الإقناع والإفصاح، ومجمل هذه العناصر عملية حجاجية بين فعلي الإنتاج والتلقي[2].

ونجده قد فصل في استراتيجيات الإقناع في طيات كتابه (البيان والتبيين)، وحاول إيضاح مفهومي البيان والتبيين، وقد أولى الأهمية للخطيب، وبهذا خالف الدرس الحجاجي عند اليونان ؛إذ يقول (وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يُكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ...الخ)[3].

وفي الأخير نخلص إلى أن مفهوم البيان ذو علاقة بالحجاج والإقناع، فقد عمل "الجاحظ" على تأسيس نظرية بلاغة الحجاج والإقناع، القائمة على مجموعة من المبادئ والأهداف الحجاجية .

---

[1] الجاحظ .البيان والتبيين .ط1 .تحق:عبد السلام محمد هارون .القاهرة :مكتبة الخانجي، (1418ه/1998م) .ج1. ص76 .

[2] ينظر:عباس الحشاني .خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في تاج ابن باديس الأدبي .ط1 .الجزائر :عالم الكتب الحديث، 2014م .ص30.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري .استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية .ط1 .بيروت :دار الكتب الجديدة المتحدة، 2004م .ص448 .

أما الأعلام الذين جاءوا بعد "الجاحظ" يُمثلون الوجهة الثانية المعروفة بـ :مرحلة ما بعد التنظير (ضبط بعض سياقاته الإقناعية)، ونذكر أبرزهم :أبو الحسن بن إسحاق ابن وهب، أبو هلال العسكري، أبو الوليد الباجي، أبو يعقوب السكاكي ، عبد الرحمان ابن خلدون.

2-2-1-2- الحجاج عند "ابن وهب" (337هـ) :

لقد تناول "ابن وهب" البيان في كتابه الموسوم بـ (البرهان في وجوه البيان)، وذكر أربعة وجوه له وهي :(باب الاعتبار، وباب الاعتقاد، باب العبارة، باب الكتاب)[1]؛إذ يقول البيان على أربعة أوجه فما بيان الأشياء لذاتها وإن لم تبين بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إهمال الفكر واللب، ومنه بيان في اللسان، ومنه بيان بالكتاب الذي يبلغ من تعد وغاب[2].

كما قدّم في كتابه أيضا تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة، بقوله (وأما الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب و الديانات، ،وفي الحقوق والخصومات، وفي الاعتذارات، ويدخل في الشعر وفي النثر)[3].

يتضح من خلال هذا الكلام أن "ابن وهب" حدّد هدف الجدل والمتمثل في (إقامة الحجة)، كما ركز على عنصر الخلافية بين المتجادلين (فيما اختلف اعتقاد المتجادلين)،ومجال استعماله (يستعمل في المذاهب و الديانات ...)، وجنسه الخطابي (شعر ونثر) .

كما تحدث "ابن وهب" عن أدب الجدل، واشترط مجموعة من الشروط التي يجب توفرها في المجادل أثناء الجدل و المجادلة،وهي كالآتي[4] :

- أن يُعجب برأيه و ما تسول له نفسه .
- أن يكون منصف غير مكابر ؛لأنه يطلب الإنصاف من خصمه و يقصده بقوله و حجته

[1] عباس الحشاني .خطاب الحجاج والتداولية .ص51.

[2] ينظر:ابن وهب .البرهان في وجوه البيان .دط .تحق:حفني محمد شرف .القاهرة :مطبعة الرسالة، دت .ص56.

[3] المرجع السابق .ص176.

[4] المرجع نفسه .ص190.

- ألا يستصغر خصمه ويستهين به .

كذلك يُقسم "ابن وهب" الجدل في باب الجدل إلى (محمود ومذموم، حسب الغاية التي يرمي إليها الجدل أو المجادلة، فأما المحمود فهو الذي يُقصد به الحق، وأما المذموم فما أريد به المماراة و الغلبة و طلب الرياء و السمعة)[1].

مما سبق ذكره يمكننا القول إن آراء "ابن وهب " حول نظرية الجدل تتلاقى مع النظريات الحجاجية المعاصرة، ويعود هذا إلى استقائها جميعا من مصدر واحد وهو المصدر اليوناني الأرسطي.

2-2-1-3- الحجاج عند "السكاكي" (626هـ) :

ورد مصطلح الحجاج في كتاب (مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي)، حين أدرج المقام في تعريفه العلمي (المعاني والبيان)، إذ يقول (إذ قد تحققت أن علم المعاني والبيان هو :معرفة خواص تراكيب الكلام، ومعرفة صياغات المعاني، ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها، بحسب ما يُوفي به قوة ذكائك، وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها، وشعبة فردة من دوحتها، علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي، ومعرفة خواصها، مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان)[2].

وما يلفت انتباهنا في كتاب "المفتاح" أنه اهتم بالمقام، وخصص له عنوان وسم بـ (لكل مقام مقال)، يقول فيه (لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل...الخ)[3].

نخلص مما سبق إلى أن معنى الحجاج الذي يُمكن رصده من خلال أقوال "السكاكي" هو الكلام الاستدلالي، ونظم الدليل، والقصد، ومراعاة مقتضى الحال والمقام.

---

[1] المرجع نفسه .ص177.

[2] أبو يعقوب السكاكي .مفتاح العلوم .ط1.تحق :عبد الحميد هنداوي .بيروت :دار الكتب العلمية.ص ص542،543.

[3] المرجع نفسه .ص256.

2.2.2- حديثا :

لقد اهتم العرب المحدثون بالحجاج وتقنياته وآلياته المختلفة، وظهر ذلك من خلال الكتب والمقالات والأبحاث، بالإضافة إلى الأعمال الغربية، ومن أبرز هؤلاء الباحثين العرب، نذكر منهم على سبيل المثال :(أبو بكر العزاوي، طه عبد الرحمان، محمد العمري) .

1.2.2.2. الحجاج عند "أبو بكر العزاوي" :

يُعد "أبو بكر العزاوي" رائد الحجاج اللغوي في المغرب، بل في العالم العربي، ويُعتبر من أصحاب المشاريع الجديدة للدراسات اللغوية والحجاجية، ومن أهم أعماله الحجاجية مجموعة من الكتب والمقالات، ومن كتبه نجد (اللغة والحجاج، الخطاب والحجاج، حوار حول الحجاج)، ففي كتابه الأول (اللغة والحجاج) خصصه لدراسات الحجاج اللغوي في اللغة العربية حيث درس فيه بعض التحديدات الأساسية لنظرية الحجاج اللغوي .

عرّف الحجاج على أنه (تقديم الحجج المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات القول، بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تُستنتج منها)[1].

وفي إطار هذه النظرية تحدث "العزاوي" عن السلم الحجاجي، باعتباره علاقة تراتبية للحجج، وقوانينه الثلاثة (النفي/الخفض/القلب)،وميّز بين الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية، فالروابط تربط بين قولين أو أكثر، أما العوامل فتقوم بحصر وتقيد الأقوال، كما تحدث عن المبادئ الحجاجية.

كما اتسم مشروعه الحجاجي أيضا إلى تناول الاستعارة من منظور نظرية "الحجاج واللغة"، فلم ينظر إليها كنوع من أنواع الزخرف اللفظي والبياني، ينتمي إلى الأدب بوجه عام، والبلاغة بشكل خاص، بل اعتبرها قوة حجاجية، وأن الأقوال الاستعارية أعلى ـ حجاجيا ـ من الأقوال العادية[2] .وهذا المثال يوضح ذلك[3]:

---

[1] أبو بكر العزاوي .اللغة والحجاج .ص16.

[2] ينظر :المرجع السابق .ص101.

[3] المرجع نفسه .ص102.

1ـ خالد بن الوليد شجاع.

2ـ خالد بن الوليد أسد.

من خلال هذين المثالين يتبين لنا أن القول الثاني (خالد بن الوليد أسد)، سيرد في أعلى السلم مقارنة بالقول الآخر (الأول)، وهذا يُفسر أن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية، والمخطط الموالي يُجسد هذا :

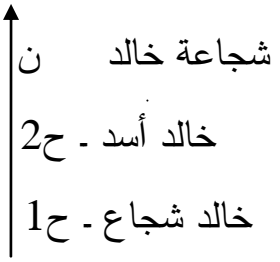

ما يُمكن استخلاصه أن "أبو بكر العزاوي" حاول توسيع مجال تطبيق نظرية الحجاج اللغوي على الخطابات، بعد أن كان تطبيقها محصورا في الروابط والأدوات الحجاجية، كما حاول تطبيق هذه النظرية في الصور الإشهارية، وهذا ما عرضه في كتابه (الخطاب والحجاج).

2-2-2-2ـ الحجاج عند "طه عبد الرحمان" :

تميّزت نظريته للحجاج بطابع فلسفي ؛لأنه يستند إلى المنطق فقد زاوج بين القديم العربي والحديث الغربي .

نظر "طه عبد الرحمان" للحجاج على أنه صفة الخطاب وذلك في مؤلفه (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي)، الذي تضمن بابًا سماه (الخطاب والحجاج) ؛إذ يقول (إن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج)[1].

كما عرّف "طه عبد الرحمان" الحجاج على أنه (كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها)[2].

---

[1] طه عبد الرحمان .اللسان والميزان أو التكوثر العقلي .ط1 .المغرب :المركز الثقافي العربي دار البيضاء، 1998م .ص213.

[2] المرجع نفسه .ص226.

يرى "طه عبد الرحمان" أن جوهر الخطاب يقوم على العلاقة الاستدلالية، وليست ثمة علاقة استدلالية إلا بتحصيل قصدين اثنين، هما :"قصد الإدعاء" و"قصد الاعتراض" غير أن هذين القصدين قد يجيئا على مقتضى التجريد أو التفريق أو الجمع، مما يجعل العلاقة الاستدلالية على أصناف ثلاثة، وهي :الحجاج التجريدي، الحجاج التوجيهي، والحجاج التقويمي[1].

- **الحجاج التجريدي** :وهو(الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان علما أن البرهان هو الاستدلال، الذي يُعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها)[2].فالمقصود بالحجاج التجريدي هنا حسب "طه عبد الرحمان"هو الإتيان بالحجة على طريقة البرهان ؛حيث يهتم هذا النوع بالعبارات أي الشكل دون المضمون واستعمالاته.

- **الحجاج التوجيهي** : المقصود بالحجاج التوجيهي إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره ؛فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤها لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطَب لها، ورد فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قَصْر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلاقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطَب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض عليه[3]. بمعنى أن المخاطِب يقوم بتوجيه دعواه إلى المخاطب، وذلك باستخدامه مجموعة من الحجج و البراهين ؛قصد إقناعه، دون الاكتراث إلى رد فعله .

---

[1]ينظر :محمد حمودي، الحجاج واستراتيجيات الإقناع عند طه عبد الرحمان، مجلة حوليات التراث، ع12، جامعة مستغانم، الجزائر، 2012م، ص ص130، 131.

[2]طه عبد الرحمان .اللسان والميزان أو الكوثر.ص226 .

[3]ينظر :المرجع نفسه .ص227.

ـ **الحجاج التقويمي** : وهو(إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية يُنزِلها منزلة المعترض على دعواه ؛فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطَب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقٍ لما يُلقي، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطَب بها)[1]. فالمقصود بذلك أن المستدل(الملقي) يجعل ذاته ذاتين، ذات تلقي الدعوى بالاعتماد على الأدلة والبراهين، وذات تعترض و تنقد، وبهذا يسبق اعتراضه واستفساره باستحضار الأجوبة عليها ليكشف مدى إمكانية تقبلها، وإقناع المخاطَب بها.

وما يمكن استخلاصه مما سبق أن الباحث "طه عبد الرحمان" استخدم الدليل مرادفا للحجة، كما قسّم الحجج إلى ثلاثة أنواع، انطلاقا من أصناف الحجاج، وهي : الحجة المجردة (التجريدية)، والحجة الموجهة (التوجيهية)، والحجة المقومة (التقويمية).

كما حدّد "طه عبد الرحمان" النماذج التواصلية إلى ثلاثة أنواع، وهي كالآتي[2]:

ـ **النماذج التواصلية للحجة** : تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة وصل؛ إذ يُعامل الحجة معاملة البناء الاستدلالي المستقل الذي تكون عناصره موصولة وصلا تاما.

ـ **النموذج الإيصالي للحجة** :تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة إيصال؛ لأنه يجعل من الحجة فعلا استدلاليا يتوجه به المتكلم إلى المستمع .

ـ **النموذج الاتصالي للحجة** : تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتصال ؛إذ ينظر في الحجة بوصفها مشتركا بين المتكلم والمستمع، جامعا بين توجيه الأول وتقويم الثاني.

---

[1] المرجع نفسه .ص228.

[2] . محمد حمودي .الحجاج وإستراتيجية الإقناع .ص133.

3.2.2.2. الحجاج عند "محمد العمري" :

يُعد "محمد العمري" من أبرز البلاغيين العرب، الذين اهتموا بالبلاغة، وظهرت جهوده من خلال مؤلفاته، التي توحي إلى إحياء البلاغة القديمة، وذلك باستثماره للمكتسبات المنهجية الجديدة.

وقد نظر "محمد العمري" إلى الحجاج على أنه يتميز بطابع إقناعي، وهذا ما نجده واضحا في كتابه (في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، إذ يقول :(قديما حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة)[1].

كما نجده اعتمد على النظرية الأرسطية لبلاغة الخطاب، التي ربطها بالإقناع، فيقول (وبدا الحنين من جديد إلى ريطورية أرسطو، التي يتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حده، بوسائل متنوعة حسب الأحوال) [2].

وقد ركز في هذا الكتاب (في بلاغة الخطاب الإقناعي) على عنصرين من عناصر الإقناع وهما :عنصر المقام، وعنصر الحجاج ؛حيث صنّف المقامات حسب موضوعاتها إلى دينية، وسياسية، واجتماعية، وهي كالآتي :

1ـ **مقامات الخطابة الدينية** :يمكن تقسيم الخطابة الدينية إلى ثلاثة أصناف، وذلك حسب المتلقي، وحسب الرسالة الموجهة إليه، فهو إما أن يكون خالي الذهن يتقبل المعرفة الملقاة إليه، وهذه الحالة اقتضت خطابة تعليمية، وإما أن يكون متناسبا لما تعلم غافلا عمّا ينتظره، فيتطلب حاله الحث على العمل والتخويف من العقاب، وتلك هي خطابة الوعظية، وإما أن يكون عالما مخالفا جاحدا لوجهة نظر الخطيب، وفي هذه الحالة لا بد من المحاجة والبرهنة، وتلك الخطابة الحجاجية أو المناظرات[3].

---

[1] محمد العمري .في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي في دراسة الخطابة العربية .ط2 .بيروت : إفريقيا الشرق، 2009م .ص13.

[2] المرجع نفسه .ص14 .

[3] ينظر :المرجع السابق .ص ص40، 41 .

2. مقامات الخطابة السياسية :يندرج تحت الخطابة السياسية ما يلي[1]:

1ـ جميع الخطب المتعلقة بالعمل في سبيل بناء الدولة، أو بسط نفوذها ؛ أي حيث تكون المواجهة بين المسلم وغير المسلم.

2ـ خطب الصراع حول الخلافة والحكم داخل المجتمع الإسلامي .ويمكن تصنيف الخطابة السياسية حسب العلاقة بين المتحاورين إلى صنفين كبيرين، يضمان تصنيفات فرعية، وهما :الحوار بين الأنداد، والحوار بين الراعي والرعية

3. مقامات الخطابة الاجتماعية و شؤون الحياة : يمكن تصنيف هذه الخطابة إلى صنفين، وهما [2]:

1ـ خطب في موضوعات اجتماعية، تتناول العلاقة بين، الناس، وتنظيم المجتمع، مثل:خطب الإملاك و الصلح و المخاصمات القضائية، وهي في أغلبها ذات طبيعة موضوعية.

2ـ خطب ذات طبيعة وجدانية، هدفها المشاركة والإشراك في المسرات والأحزان، كالتعزية والتهنئة، ووصف المشاهد والبلاد.

أما فيما يخص صور الحجاج عنده، فتهدف إلى تحقيق الانسجام ؛وذلك باشتراكها مع العقل ومبادئه، وتتمثل هذه الصور في الآتي :

1ـ القياس الخطابي :وهو(القياس المضمر، الذي يقوم على الرأي، وعلى الاحتمالات التي تكفي في معالجة الأمور، ويوجد اختلاف كبير بين القياسات المضمرة أو التفكيرات، وذلك حسب الترجمة العربية القديمة، فمنها :عام يُطبق على جميع المواد، مثل مبدأ الأقل والأكثر، وهي تقوم على مبادئ العقل نفسه، وحجج خاصة مستخلصة من مفاهيم خاصة، وهي في هذه الحالة تُطبق في المواد التي لها علاقة بهذه المفاهيم)[3].

---

[1]ينظر:المرجع نفسه .ص50 .

[2]المرجع نفسه .ص62.

[3]المرجع السابق .ص ص70، 71.

2- المَثَل :هو استقراء بلاغي، والمثل حُجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها[1].

3- الشاهد :تُسمى الوسائل المستعملة في هذا الصدد عند أرسطو (الحجج الجاهزة، أو غير الصناعية، ويدخل في نطاقها القوانين والشهود والاعترافات وأقوال الحكماء، وتختص إجمالا بالخطابة القضائية، ومنها في الخطابة العربية تضمين الآيات القرآنية، والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم، وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها، ومن مصادقة الناس عليها وتواترها)[2].

3 - السلالم الحجاجية:

تُعد السلالم الحجاجية خطة كلامية محددة، مبنية على مجموعة من الحجج ؛من أجل الوصول إلى نتيجة معينة، يريد المحاجج إقناع المخاطبين بها، وتختلف هذه الحجج التي يسوقها المخاطب (المحاجج) بين القوة والضعف، وقد تعددت مفاهيم السلم الحجاج عند العرب والغرب.

3-1- مفهوم السلم الحجاجي عند العرب والغرب:

3-1-1- عند العرب :

3-1-1-1- عند اللغويين :

عند تحديد مفهوم كلمة " السلم " يجب إرجاعها إلى حروفها الأصلية، والمتمثلة في الجذر "س ل م "، والتي جاءت في اللغة العربية بمعان متعددة، منها ما جاء به "الفراهيدي"، في قوله :(هي السلم وهو السلم أي السبب والمرقاة، والجميع السلاليم)[3]. فالمرقاة هي وسيلة

---

[1] ينظر: المرجع نفسه .ص82 .

[2] المرجع نفسه .ص90.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي .كتاب العين .ط2 .تحق:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي .بيروت :دار ومكتبة الهلال .ج7. مادة (سلم).ص 266.

الرقي أو آلته وموضعه، أو ما يرقى به أو فيه، كما أنه يذكر ويؤنث، ويقال: (صعدت مرقاة أو مرقاتين ؛أي درجة أو درجتين والجود مرقاة الشرف، ويقال : المجد صعب المراقي)[1].

كما نجد مفهوم آخر للسلم في معجم مقاييس اللغة، والمتمثل في أن :(السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية ؛السَّلامة أيضا لأن النازل عليه يُرجَى له السَّلامة)[2].

أما عند "الطاهر بن عاشور" فقد ورد تعريف السلم اصطلاحا :(باعتباره شيئا ماديا وآلة للصعود وهذا يذكر عناصر أجزائها، فهو آلة للارتقاء، تُتخذ من حبلين غليظين متوازيين، تصل بينهما أعواد أو حبال أخرى متفرقة من عرض الفضاء، الذي بين الحبلين من مساحة ما بين كل من تلك الأعواد بمقدار ما يرفع المرتقي إحدى رجليه إلى العود فوق ذلك، وتسمى تلك الأعواد درجات، ويجعل طول الحبلين بمقدار الارتقاء إليه، ويسمّى السلّم مرقاة ومدرجة، وقد سموا الغرز الذي يرتقي به الراكب على رحل ناقته سُلّمًا)[3].

مما سبق نستخلص أن مادة السلّم نجدها وردت للدلالة على معنيين، معنى مادي وهو الآلة، التي تتعلق بالمكانة، ومعنى معنوي يتمثل في الفضائل والعلم.

ومادة (سلم) وردت أيضا في القرآن الكريم، لكن لا نجدها تعدو عن موضعين اثنين فقط، هما :

الأولى :قوله تعالى ﴿ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(الأنعام آ35)

معنى هذه الآية أن الأنبياء والرسل يرجون اهتداء قومهم ما استطاعوا، فيبلغونهم ما ينزل إليهم من الله، ويعظونهم ويدعونهم بالحجة، والمجادلة الحسنة، حتى يظنوا أنّ أمنيتهم قد نجحت، ويقترب القوم من الإيمان[4].

---

[1] مجمع اللغة العربية .المعجم الوسيط .ط1.بيروت :دار الدعوة .ج1.مادة (سلم).ص 367.

[2] أحمد ابن فارس .مقاييس اللغة .ص 91.

[3] المرجع السابق .ص78.

[4] ينظر :المرجع نفسه .ص300.

يلاحظ أن كلمة "السُلم "وردت للدلالة على معنى واحد ؛وهو الصعود والارتقاء و العروج في السماء.

الثانية :قوله تعالى {أم لهم سُلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين} (الطور آ38).

جاءت هذه الآية بنفي علمهم عن طريق التهكم والسخرية لهم، بإنكار أن يكون لهم سلم يرتقون به، صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب. **3-1-1-2-**

عند علماء الحديث :

قَسم العلماء القدامى الحديث إلى قسمين :(قسم صحيح قسم ضعيف، والضعيف لديهم ينقسم إلى نوعين، ضعيف متروك لا يحتج به، وإلى ضعيف حسن ؛كما أن ضعف الإنسان بالمرض ينقسم إلى مرض مخوف يمنع التبرع من رأس المال وإلى ضعيف خفيف لا يمنع من ذلك .وأول من قام بتقسيم الحديث إلى ثلاثة أقسام : "صحيح وحسن وضعيف هو" أبو عيسى الترمذي ")[1].

نلاحظ من أن الحديث الصحيح، سيكون في أعلى السلم ؛لأن له قوة حجاجية عالية، والمخطط الآتي يجسد هذا :

ن: الإقناع والاحتجاج به

- حديث صحيح
- حديث حسن
- حديث ضعيف

الحديث والسلم الحجاجي

إذن هناك علاقة بين درجات ؛والقول الذي يكون في أعلى درجات السلم نسميه الدليل الأقوى ويمكن الاحتجاج به.

2.1.3- عند الغرب :

[1]ابن تيمية .مجموع الفتاوي .دط .تحق:عبد الله الرحمان محمد بن قاسم .المملكة العربية السعودية، (1416هـ/1995م) .ج1 .ص ص251،252.

يُمثل السلم الحجاجي (العلاقة المجازية بين الدعوى والحجة، لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حدّ ما وذلك بالرغم من أنها تتجسّد، بطبيعة الحال من خلال الأدوات اللغوية، فيتمثل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وتراتبها حسب قوتها ؛إذ لا يثبت غالبا إلا الحجة التي ترفض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق، ولذلك يرتّب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتّع بالقوّة اللازمة التي تدعم دعواه وهذا الترتيب هو ما يسمى بالسلم الحجاجي)[1].

فالسلم الحجاجي إذن يقوم على ترتيب الحجج عموديا من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، فهو حسب "ديكرو" (فئة حجاجية موجهة أو نظام ترتيب الحجج)[2].

نستخلص في الأخير أن السلم الحجاجي يقوم على ترتيب الحجج من حجة الضعيفة إلى الحجة القوية.

2-3- قوانين السلم الحجاجي :

تنحصر قوانين السلم في ثلاثة قوانين، نوردها على النحو الآتي :

1-2-3- قانون النفي :

مقتضى هذا القانون (إنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا المدلول دليلا على نقيض مدلوله)[3]. وبعبارة أخرى، فإذا جعلنا (أ) ينتمي إلى الفئة

الحجاجية المحددة بواسطة "ن"، فإن "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة " لا – ن"، ويمكن أن نمثل لهذا بالمثالين التاليين[4]:

– زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان

– زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري .إستراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية .ص 499.

[2] أبو بكر العزاوي .اللغة والحجاج .ص21.

[3] طه عبد الرحمان .اللسان والميزان أو التكوثر العقلي .ص 278.

[4] أبو بكر العزاوي .اللغة والحجاج .ص22.

إذا كان قبول الحجاج الوارد في المثال الأول، فيجب كذلك قبول الحجاج الوارد في الثاني.

3-3-2- قانون القلب :

يرتبط هذا القانون أيضا(بالنفي، ومقتضاه أنه إذا كان أحد الملفوظين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول)[1].

إن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو (عكس سلم الأقوال الإثباتية، وبعبارة أخرى إذا كان (أَ) أقوى من (أ) بالقياس إلى نتيجة (ن)، فإن (~أَ) هو أقوى من (~أ) بالقياس إلى (لا – ن))[2].

ويرمز لها بواسطة السلّمين الحجاجيين الآتيين[3]:

3-3-2- قانون الخفض :

كذلك ينص هذا القانون (على أن القول إذا صدق في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها)[4].

[1]طه عبد الرحمان .اللسان والميزان أو التكوثر العقلي .ص 278.

[2]المرجع السابق .ص 22.

[3]المرجع السابق .ص 23.

[4]طه عبد الرحمن .اللسان والميزان أو التكوثر العقلي .ص 277.

ويوضح هذا القانون الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة " Moinsque"، فعندما نستعمل جملا من قبيل[1].

- الجو ليس باردا.
- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

ففي المثاليين تم استبعاد بعض التأويلات، التي هي من قبيل أن البرد قارص أو شديد البرودة، وأن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل، ويتم تأويل الجملتين على النحو الآتي[2]:

- إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار
- لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل

ومن هنا نستنتج أن الأقوال التي تكون خاضعة لقانون الخفض نجد فيها صعوبة في ترتيبها في سلم حجاجي واحد ؛لأنها غير منتمية للفئة الحجاجية ذاتها.

3-3- وسائل السلم الحجاجي :

3-3-1- الوسائل اللغوية :وتتمثل في الآتي:

3-3-1-1- الروابط الحجاجية :

تشمل اللغة العربية كغيرها من اللغات الطبيعية على أدوات وروابط، تثريها بأساليب كثيرة ومتنوعة، قائمة على تواصلية متباينة حسب إرادة المتكلم (المحاجج) وقصده، وقد اهتم النحاة العرب بهذه الروابط، وعقدوا لها أبوابا وتقسيمات، فسماها النحاة بحروف المعاني، وسميت بذلك ؛(لأن وضعها على أن تفضي لمعاني الأفعال إلى الأسماء)[3].

يُعرف الرابط الحجاجي على (أنه يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة)[4].

---

[1]ينظر:المرجع السابق .ص 24 .

[2]المرجع نفسه .ص 24 .

[3]أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري .المفصل في صناعة الإعراب .ط1 .تحق: على بوملحم .بيروت :مكتبة الهلال، 1993م .ص 379.

[4]أبو بكر العزاوي .اللغة والحجاج .ص29 .

وهناك مجموعة من الأدوات الحجاجية التي هي (ليست الحجج بعينها، كما أنها لا تستوعبها كلها، ولكن هذه الأدوات هي عبارة عن قوالب تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج، أو تُعين المُرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق)[1].

إن الروابط الحجاجية (تُعد المؤشر الأساسي والبارز، والدليل القاطع على أن الحجاج ومؤشراته في بنية اللغة نفسها)[2].

أيضا نجد الروابط الحجاجية (تعمل داخل النص على تماسك عناصره وربط مكوناته وجمله وجعلها متداخلة فيما بينها، لتكوّن بنية واحدة متكاملة)[3].

والمثال الموالي يوضح السابق [4]:

– زيد مجتهد إذن سينجح في الامتحان.

القول يشمل على حجة (زيد مجتهد)، ونتيجة (سينجح)، مع وجود رابط (إذن)، الذي ربط بينهما :(الحجة والنتيجة).

وللروابط أنماط عديدة، تتمثل في الآتي [5]:

– الروابط المدرجة للحجج: (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن ...الخ) و الروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي ...الخ)، والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

– روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ...الخ)، وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما ...الخ).

نستنتج في الأخير أن الروابط الحجاجية هي التي تربط بين قضيتين أو قولين ؛من أجل الوصول إلى نتيجة محددة.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري .استراتيجيات الخطاب . ص477.

[2] جمال البناء، السنوات الأخيرة للشيخ الوالد، جريدة المشرق الأوسط، ع 8424، الجمعة 6 شوال 1422هـ / 21 ديسمبر 20، ص22.

[3] المرجع نفسه .ص 22.

[4] أبو بكر العزاوي .اللغة والحجاج .ص30.

[5] المرجع نفسه. ص 30.

3-3-1-2- العوامل الحجاجية :

إن الحديث عن الروابط الحجاجية يدفعنا إلى الحديث عن العوامل الحجاجية التي تعتبر أهم آلية لغوية، تستدعي حصر الإمكانيات الحجاجية المختلفة.

فالعامل الحجاجي (إذا دخل في الخطاب أسهم، في تقليص الإمكانيات الحجاجية للكلام وزاد من طاقته الحجاجية، في التوجه نحو نتيجة حجاجية ما)[1].

ويعرَّف "ديكرو" و"أنسكومبر" العامل الحجاجي بقولهما :(إن وجود بعض الصرافم في بعض الجمل يعطيها توجيها حجاجيا...، للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها)[2].

وقد تطرق" أبو بكر العزاوي " إلى مفهوم العامل الحجاجي من خلال المثاليين التاليين[3]:

- الساعة تشير إلى الثامنة.
- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر "لا ...إلا "، وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول أي الإمكانات الحجاجية التي يتيحها .

وإذا أخدنا القولين التاليين :

- الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع
- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع

نلاحظ أن القول الأول سليم ومقبول تماما، أما القول الثاني فيبدو غريبا، ويتطلب سياقا خاصا وأكثر تعقيدا حتى نستطيع تأويله، وبعبارة، فهو يتطلب مسارا تأويليا مختلفا.

وإذا عدنا إلى المثال السابق (الساعة تشير إلى الثامنة)، فسنجد أن له إمكانات حجاجية كثيرة، فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل :الدعوة إلى الإسراع، التأخر والاستبطاء،

---

[1] عايد جدوع حنون، العوامل الحجاجية في آيات الأحكام، مجلة أوروك، ع 4، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2016م، المجلد التاسع، ص12.

[2] عز الدين الناجح .العوامل الحجاجية في اللغة العربية . ط1. صفاقس :مكتبة علاء الدين دار نهى، 2011م. ص32.

[3] أبو بكر العزاوي .اللغة والحجاج .ص ص 28،29.

هناك متسع من الوقت، موعد الإخبار...الخ، وبعبارة أخرى، فهو يخدم نتيجة من قبيل :" أسرع "، كما يخدم النتيجة المضادة لها :"لا تسرع"، لكن عندما أخلنا عليه العامل الحجاجي :"لا ...إلا "، فإن إمكاناته الحجاجية تقلصت، وأصبح الاستنتاج العادي والممكن هو " لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع ".

والعوامل الحجاجية هي :(عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة، وهي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل)[1].

وتضم العوامل الحجاجية في اللغة العربية أدوات منها :(النفي، القصر،الاستثناء، ربّما، كاد، تقريبا، قليلا، كثيرا، على الأقل ...الخ)[2].

3-3-2- الوسائل النطقية وشبه منطقية :

كما اعتمدنا أيضا على وسائل منطقية وشبه منطقية، والتي نذكر منها ما يلي[3]:

3-3-2-1- التعدية : والتي تمثلت في :

1.1- أفعل التفضيل.

2.1- القياس الضمني.

3.1- صيغ المبالغة.

4.1- الشاهد.

5.1- حجة الدليل.

[1]عايد جدوع حنون .العوامل الحجاجية في آيات الأحكام .ص12.

[2]المرجع نفسه .ص 12.

[3]ينظر :عبد الهادي بن ظافر الشهري .استراتيجيات الخطاب .ص ص526-538.

خلاصة :

ومما سبق ذكره من معلومات واردة في الجانب النظري، توصلنا إلى أن الحجاج له علاقة بدلالات متعددة :كالجدل، والحوار، والقصد...، أما من الناحية الاصطلاحية نلحظ أن الحجاج ارتبط بالخطابة (أو بلاغة الخطاب الإقناعي) خاصة عند اليونان، ويأتي في مقدمتهم "أفلاطون" و"أرسطو" هذا الأخير الذي أسهم في تأليف كتابه الموسوم بـ (الخطابة)، والذي يُعد انطلاقة للدرس الحجاجي الغربي ؛حيث امتدت أفكاره إلى الدراسات الحديثة، التي مثلها كل من "بيرلمان" و"ديكرو"، اللذان استفادا مما قدّمه "أرسطو"، وهذا ما نجده في نظريتهما المتمثلة في :(نظرية الحجاج) و(الحجاج في اللغة)، فالأولى تركز على المنطق من خلال الحديث عن الحجج المنطقية، والثانية قائمة في جوهر اللغة.

أما إذا تتبعنا معنى الحجاج في التراث البلاغي العربي، نجد في المقدمة "الجاحظ"، الذي يُعدُّ مؤسس معالم الدرس الحجاجي، انطلاقًا من مدونته التي تحت عنوان (البيان والتبيين)، أين ربط الحجاج بالبيان، أما "السكاكي" فقد ظهر الحجاج عنده من خلال حديثه عن المقام ومقتضى الحال.

كما انقسم المعاصرون العرب في تناولهم للحجاج إلى قسمين :المجموعة الأولى كان توجهها منطقي بلاغي (توجه "بيرلمان")، وهو ما نجده عند "محمد العمري" وغيره، أما المجموعة الثانية لها توجه لساني تداولي، أمثال "أبو بكر العزاوي"، و"طه عبد الرحمان".

والحجاج كأسلوب تواصلي يعتمد على آليات متنوعة (لغوية وبلاغية وشبه منطقية).

الفصل الثاني

السلام الحجاجية في خطب الإمام علي عليه السلام

أولا- التعريف بالخطيب:

1- مولده :

الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه،ولد في السنة الثانية والثلاثين من ميلاد رسول الله صل الله عليه وسلم، وهو علي بن عبد المطلب بن هاشم بن مناف، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، فهو من أبوين هاشميين، ومن أشرف بطون قريش وأكرمها، وهو ابن عم رسول الله صل الله عليه وسلم ؛إذ هما من أبوين شقيقين[1].

2- كنايته :

يُكنى علي بن أبي طالب بأبي الحسن، وكنّاه الرسول صل الله عليه وسلم بأبي تراب، وهي كُنية أطلقها النبي عليه الصلاة والسلام، حينما وجده راقدا في المسجد وقد أصاب جسده التراب، بعد أن سقط رداءهُ، فأخذ النبي يمسح التراب عنه وهو يردد (قُمْ أبا تُراب، قُمْ أبا تُراب)، وكان رضي الله عنه يفرح ويسعد إذا دعي بهذه الكنية[2].

3- صفاته :

كان علي رضي الله عنه يميل إلى القصر، أسمر اللون، عريض اللحية أبيضها لا يخضبها، كثير شعر الصدر، وأصلع ليس في رأسه شعر إلا من الخلف، كما كان ضخم البطن، عظيم العينين، حسن الوجه كالقمر،كثير التبسم، إذا مشى إلى الحرب هرول وهو ثابت الجنان، ما صارع أحدا إلا صرعه، فكان منصورا دوما في مبارزاته، وهو الذي قتل عمر بن وُد العامري يوم الخندق، والذي يُعرف بفارس الجزيرة العربية[3].

4- زوجاته :

---

[1] ينظر :ابن كثير .البداية والنهاية .ط1 .بيروت :دار الكتب العلمية، 2005م .ج7 .ص215.

[2] ينظر :إبراهيم شمس الدين .خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .دط .بيروت : دار الكتب العلمية، 1971م .ص10 .

[3] ينظر :المصدر السابق .ص 316.

تزوج علي كرم الله وجهه بفاطمة الزهراء رضي الله عنها، وقد منعه رسول الله صل الله عليه وسلم أن يتزوج بأخرى، فالتزم رضي الله عنه بذلك، ولم يضرها بزوجة حتى ماتت رحمها الله، بعد وفاة أبيها صل الله عليه وسلم بستة أشهر[1].

تزوج رضي الله عنه بعدها بنساء كثيرات منهن[2]:

-خولة بنت جعفر الحنفية .

-ليلى بنت مسعود بن خالد.

-أم البنين بنت حزم بن خالد .

-أسماء بنت عميس الجثعمية .

-أمامة بنت أبي العاص بن الربيع .

-أم حبيب بنت ربيعة .

-أم سعيد بنت عروة بن مسعود .

-محياة بنت امرئ القيس بن عدي .

ومن أشهر أولاده الآتي[3]:

محمد الأكبر – محمد الأصغر – العباس – جعفر – عبد الله –عثمان – عبيد الله – أبو بكر يحي –عمر – رقية – محمد الأوسط – أم الحسن – رملة الكبرى – أم كلثوم الصغرى – أم هانئ – ميمونة – زينب الصغرى – فاطمة – رملة الصغرى – أمامة – خديجة – أم الكرم ... الخ.

5- وفاته :

كانت وفاة سيدنا علي رضي الله عنه في 21 رمضان سنة 40هـ، كان رضي الله عنه في الطريق إلى المسجد لأداء صلاة الصبح، فوثب أحد الخوارج وكان اسمه عبد الرحمان

---

[1] ينظر.المصدر السابق .ص 217.

[2] ينظر:المصدر نفسه .ص 366.

[3] المصدر نفسه .ص 366 .

ابن ملحم، وضربه بالسيف في جبهته، فتوفي الإمام شهيدا مبشرا بالجنة، وعمره ستون سنة، وكانت خلافته أربع سنوات وتسعة شهور[1].

ثانيا- التعريف بالكتاب:

نهج البلاغة اسم وضعه " الشريف الرضي " على كتاب جمع فيه مختارات من كلام الإمام علي بن أبي طالب في الخطب والمواعظ والحكم وغيرها، ويُعد" نهج البلاغة " من أبرز ما تركه " الشريف الرضي "،حيث أشتمل هذا الكتاب على عدد كبير من الخطب والمواعظ والعهود والرسائل والحكم والوصايا والآداب، توزعت على 238 خطبة، و 79 رسالة، و 489 قول، يرى الشيعة في الكتاب أنه أحد الكتب الهامة التي يجب على الشيعي قراءتها، والأخذ والتعلم منها، كما تنوعت موضوعات " نهج البلاغة " من معارف راقية في التوحيد، مثل إلهية ونصائح ومواعظ وتحليل لكثير من الأحداث السياسية التاريخية، وقد حرص " الشريف الرضي " في الكتاب على اختيار أبرز وأبلغ أقوال" علي كرم الله وجهه "، وبعد مقدمة قصيرة يضع المؤلف كلام" الإمام علي " في ثلاثة أقسام : (الخطب، والكتب، والحكم) مضيفا إليه - كما اقتضى الأمر- توضيحات مختصرة مفيدة،وقد احتوى "نهج البلاغة " على 241 خطبة، و79 كتابا، و480 حكمة من حكم "علي رضي الله عنه "[2].

1- أهمية الكتاب وأقسامه :

يُعد كتاب " نهج البلاغة " من أشهر كتب العرب ؛إذ حظي باهتمام الأدباء والعلماء عصراً بعد عصر، أين وجد فيه رجل الدين عقيدة وفضيلة، والفيلسوف حكمة وفلسفة، ورجل الاجتماع دستوراً اجتماعيا، فلهذا اهتم الكثيرون لطبع الكتاب وشرحه، ومن أشهر

[1] ينظر:أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان .كتاب مقتل أمير المؤمنين، رواية الحسين بن صفوان .ط1 . دمشق : دار البشائر، 2001م .ص10 .

[2] ينظر :الموسوعة الحرة، "نهج البلاغة"، https// ar . wikipedia. Org / wiki/، تم الإنزال في: الأربعاء 2020/07/22.

شارحيه نجد :" ابن أبي الحديد "(1257م/655هـ)، والإمام "محمد عبده " .أما مادة "نهج البلاغة " يمكن أن نرجعها إلى الدينيات والسياسات والعسكريات والاجتماعيات والإداريات[1].

ومن خطب الإمام علي رضي الله عنه :

الخطبة الأولى : من خطبة له عليه السلام في الاستسقاء

(أيُّها الناسُ، مَنْ عرفَ مِنْ أخيهِ وَثيقةَ دينٍ وسدادَ طريقٍ فلا يسْمعنَّ فيهِ أقاويلَ الرِّجالِ .أما إنّهُ قدْ يرْمي الرَّامي وتُخْطِئُ السِّهامُ ويَحيلُ الكلامُ، وباطِلُ ذلكَ يَبُورُ وَالله سميعٌ وشهيدٌ .أما إنَّهُ ليْسَ بينَ الحقِّ والباطِلِ إلاَّ أرْبعُ أصابِعَ (فسُئِلَ عليْهِ السَّلامُ عنْ معْنى قوْلِهِ هذَا، فجمعَ أصابِعَهُ ووَضعَها بيْن أُذُنِهِ وعيْنِهِ ثُم قالَ) الباطِلُ أنْ تَقُولَ سمِعْتُ والحقُّ أنْ تَقولَ رأيْتُ) [2].

الخطبة الثانية : من كَلامٍ لهُ عليه السَّلامُ في ذِكر الكُوفةِ

(كأَني بك تُمدّين مدَّ الأَديمِ، تُعْركين بالنَّوازِلِ وتُرْكبين بالزلازِلِ .وإنّي لأعلمُ أنَّهُ ما أراد بِكِ جبَّارٌ سوءًا إلاَّ ابْتلاه الله بشاغِلٍ ورماهُ بقاتِلٍ) [3] .

الخطبة الثالثة : في ذِكْرِ يوْمِ النَّحرِ وصِفةِ الأُضحيةِ

(وَمنْ كمالِ الأُضحيةِ اسْتَشْرافُ أُذُنِها، وسلامةُ عيْنِها، فإذَا سلِمتِ الأذُنُ و العيْنُ سلِمتِ الأُضحيةُ وتمَّتْ .ولوْ كانتْ عضْباءَ القرْنِ، تَجُرُّ رِجْلِها إلى المنْسكِ (قَلَ الرَّضي : والمنْسكُ هُنا الذبْحُ)) [4].

الخطبة الرابعة : من خطبه له بعد انصرافه من صفين

(أَحمدُهُ اسْتِتْماماً لنعمتِهِ .واسْتِسْلاماً لعزّتِهِ .واسْتِعصاماً من معصيتِهِ .وأسْتعينُهُ فاقةً إلى كفايتِهِ إنّهُ لا يضلُّ من هداهُ .ولا يئِلُ من عاداهُ، ولا يفْترقُ من كفاهُ .فإنّه أرجحُ ما

---

[1] ينظر:حنا الفاخوري .الجامع في الأدب العربي (الأدب العربي القديم) .دط .بيروت :دار الجيل .دت .ص 344.

[2] علي بن أبي طالب .نهج البلاغة .دط .تحق :محمد عبدة .القاهرة :دار الحديث، 2003م.ص182 .

[3] المصدر نفسه .ص71

[4] المصدر نفسه .ص75.

وُزن وأفضلُ ما خُزن .وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ . شهادةً مُمْتَحناً إخْلاصُها . مُعتقداً مُصاصُها، نَتَمسّكُ بِها أبدا ما أبْقانَا ...الخ)[1].

الخطبة الخامسة : ومنْ كتابٍ إلى أهلِ الكوفة يمْدحهُمْ بعْد فتْحِ البصرةِ

(و جزاكُمُ الله منْ أهلِ مصرٍ عنْ أهلِ بيْتِ نبِيّكُمْ أحْسنَ ما يجْزي العاملينَ بطاعتِهِ والشَّاكِرينَ لنِعْمتِهِ، فقدْ سمِعْتُمْ وأطعْتُمْ، ودُعيتُمْ فأجبْتُمْ)[2].

الخطبة السادسة : ومنْ كلامٍ لهُ عليهِ السَّلام فيمَا ردَّهُ علَى المسْلمِين مِنْ قَطائِعِ عُثمانَ رَضِي الله عنْهُ

(والله لوْ وجدْتُهُ قدْ تُزُوّجِ بهِ الّنِسَاءُ ومُلِكَ بِه الإماءُ لَرَدَدْتُهُ فإنّ في العدْلِ سَعَةً، ومَنْ ضاقَ عليْهِ العدْلُ فالجَوْرُ عليْهِ أَضيقُ) [3].

ثالثا- السلالم الحجاجية في خطب علي كرم الله وجهه :

السلم الحجاجي كما مرّ بنا سابقا (هو علاقة تراتبية للحجج)[4] .كما يلعب دورا مهما في عملية الإقناع عبر درجاته، فكلما كثرت الحجج زاد التأثير في المتلقي .والسلم الحجاجي يتحقق بمجموعة من الآليات منها :الآليات اللغوية والمنطقية وشبه منطقية.

1- الآليات اللغوية : وتتمثل في :

1-1- الروابط الحجاجية :

تُعد أحد المؤشرات الحجاجية التي تعمل على ربط الحجج بالنتائج، أو ربط الحجج مع بعضها البعض، وقد عرفها "أبو بكر العزاوي" بقوله :(إن الروابط تربط بين القولين، أو بين حجتين أو أكثر،وتسند لكل قول دورًا محددًا داخل الإستراتيجية العامة)[5]، ومن بين هذه الروابط نذكر الآتي :(الواو، الفاء، بل، حتي، لكن...الخ).

---

[1] المصدر السابق .ص 25.

[2] المصدر نفسه .ص 320.

[3] المصدر نفسه .ص 38.

[4] أبو بكر العزاوي .اللغة والحجاج .ص21.

[5] المرجع نفسه .ص27.

1-1-1- الرابط الحجاجي "الواو" :

"الواو" من الروابط الحجاجية التي تعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض لتقوية النتيجة وتأكيدها.

ومن الأمثلة الواردة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نأخذ الآتي:

(الحمد لله الذي لا يبلغ مِدْحتَهُ القائلون، ولا يُحصى نعْماءَهُ العادّون، ولا يُؤدِّي حقه المجتهدون الذي لا يُدرِكه الهم، ولا ينالُهُ عوْص الفِطن الذي ليس لصفته حدٌّ محدود)[1].

والتي يُمكن تجسيدها في الخطاطة الآتية :

ن: الصفات الكمالية لله تعالى

ح4 ـ لا يناله عوْص الفِطن

الرابط الحجاجي ـ "الواو"

ح3 ـ لا يُؤدي حقه المجتهدون

الرابط الحجاجي ـ "الواو"

ح2 ـ لا يُحصى نُعماءه العادّون

الرابط الحجاجي ـ "الواو"

ح1 ـ لا يبلغ مِدْحتَه القائلون

[1] علي بن أبي طالب .نهج البلاغة .ص17.

فالرابط الحجاجي "الواو" قام بالربط بين مجموعة من الحجج كانت كالآتي : الحجة الأولى "ح1" :تمثلت في (لا يبلغ مِدْحتَه القائلون)، ثم الحجة الثانية "ح2" (لا يُحصى نعماءه العادّون)، وبعدها الحجة الثالثة "ح3" (لا يُؤدي حقه المجتهدون)، في حين تمثلت الحج الرابعة "ح4" (لا يناله عوْص الفِطن)، فكل هذه الحجج تمثل الصفات الكمالية لله تعالى، وهي حجج مترابطة مع بعضها البعض بفضل الرابط الحجاجي "الواو" لتحقيق نتيجة واحدة ألا وهي "ن" (الصفات الكمالية لله عز وجل).

ومما ورد من كلام علي بن أبي طالب عليه السلام أيضا نجد الآتي :(**يأيها الناس لا يجرِمنّكم شقاقي، ولا يستهوِينّكم عصياني، ولا تتراموْا بالأنصار عندما تسمعونه مني**)[1].

ويُمكن تمثيل هذا على السلم الحجاجي الآتي :

ن : وصية أمير المؤمنون بعدم عصيانه

ح3 ـ لا تتراموْا بالأنصار عندما تسمعونه مني

الرابط الحجاجي ـ "الواو"

ح2 ـ لا يستهوِينّكم عصياني

الرابط الحجاجي ـ "الواو"

ح1 ـ يا أيها الناس لا يجرِمنّكم شقاقي

حيث تمثل (ح1، ح2، ح3) حججا مترابطة، وكل حجة تساند الأخرى وتقويها بفضل الرابط الحجاجي "الواو"، وكلها تسير في اتجاه واحد، وتحقق نتيجة واحدة، ألا وهي "ن" :(وصية أمير المؤمنين بعدم عصيانه) .

[1] علي بن أبي طالب .نهج البلاغة .ص135.

وكذلك في قوله عليه السلام (**أما وصيتي :فالله لا تشركوا به شيئا، ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تُضيعوا سُنته**)[1].

جمع الرابط الحجاجي "الواو" بين الحجتين، الحجة الأولى "ح1" (فالله لا تشركوا به شيئا)، والحجة الثانية "ح2" (محمد صلى الله عليه وآله فلا تُضيّعوا سنته)، لتدعيم النتيجة "ن" (عبادة الله تعالى وحده لا شريك له)، فالحجتين جاءتا مترابطتان و متناسقتان تدعم بعضهما في اتجاه حجاجي واحد لتحقيق النتيجة ذاتها.

ويمكن تجسيدها في المسار الحجاجي الآتي :

ن: عبادة الله تعالى وحده لا شريك له

ح1 ـ محمد صلة الله عليه وآله فلا تضيّعوا سُنته

الرابط الحجاجي ـ "الواو"

ح2 ـ فالله لا تشركوا به شيئا

1-1-2- الرابط الحجاجي "الفاء" :

"الفاء" من الروابط الحجاجية، التي لها وظيفة الجمع بين قضيتين غير متباعدتين ؛إذ يكمن دوره في ربط الحجج بعضها ببعض ووصلها و تقويتها، لتحقيق النتيجة ذاتها، كما أن لها وظيفة الربط بين الحجة والنتيجة .

ويمكن التمثيل لذلك بالآتي

(ولا تحسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب)[2].

معنى هذا أن علي بن أبي طالب عليه السلام حذر من عاقبة الحسد وآثاره السلبية على الفرد والمجتمع.

فالرابط الحجاجي "الفاء" ربط بين النتيجة المتمثلة في "ن"(ولا تحسدوا)، والحجة التي تمثلت في "ح" (الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب)، وأقام علاقة حجاجية بينهما .

[1] المصدر السابق .ص188.

[2] المصدر نفسه .ص106.

ويمكن تجسيد ذلك من خلال المسار الحجاجي الآتي :

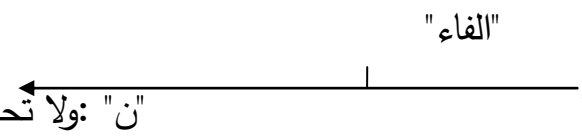

كما ورد عن علي بن أبي طالب عليه السلام أيضا :

(وأما أهل المعصية فأنزِلهم شرّ دارٍ)[1].

يُلاحظ هنا أن الرابط الحجاجي "الفاء" قام بالوصل بين الحجة المتمثلة في "ح" (أهل المعصية)، والنتيجة "ن" (أنزلهم شرّ دارٍ) .

ويمكن توضيح ذلك من خلال الخطاطة الآتية :

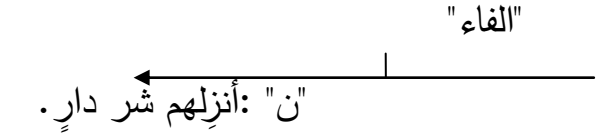

في موضع آخر يقول :

(مضوْا قدُما على الطريق وأوجفوا على المحجّة، فظفروا بالعقبى الدائمة و الكرامة الباردة)[2].

معنى هذا أن الإسراع والسير على الطريق المستقيمة هو الفوز لا محال بالعيش الهنيء .

فالرابط الحجاجي "الفاء" جاء بعد الحجتين "ح1" (مضوْا قدما على الطريق)، و"ح2" (أوجفوا على المحجّة)، و تموضع قبل النتيجة التي تمثلت في"ن" (ظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة) .

[1] المصدر السابق .ص148 .

[2] المصدر السابق .ص159.

ويمكن تجسيد ما سبق بالشكل الموالي :

"الفاء"

"ح1" : مضوْا قدما على الطريق و أوجفوا على المحجّة

"ن" : ظفروا بالعقبى الدائمة "ح2" والكرامة الباردة

1-1-3- الرابط الحجاجي "حتى" :

يُعد هذا الرابط من الروابط المدرجة للحجج ، وبواسطته يتم الربط بين الحجج ؛ بحيث الحجة التي تأتي بعده تكون أقوى حجاجيا من الحجة التي ترد قبله، وهذا يعني أن الرابط "حتي" يربط بين حجتين لهما التوجه نفسه ؛أي تخدم نتيجة واحدة .

وسنحاول في الآتي عرض دور الرابط "حتي" الوارد في كتاب نهج البلاغة :

(أيها الناس أعينوني على أنفسكم، وايْم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ولأقودنّ الظالم بخزامته، حتى أورده منهل الحق إن كان كارهًا)[1].

والمقصود بهذا إنصاف المظلوم، وقيادة الظالم إلى طريق الحق وإن كان كارها لذلك، وهذه من الصفات التي كان يتجلى بها عليه السلام (علي بن أبي طالب)، نلاحظ هنا أن الحجة الثانية "ح2" (أورده منهل الحق وإن كان كارهًا) التي وردت بعد الرابط الحجاجي "حتى" أقوى حجاجيًا من الحجة الأولى "ح1" (وايْم لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ولأقودنّ الظالم بخزامته) التي وردت قبله، وهما حجتان تخدمان نتيجة واحدة المتمثلة في "ن" (عدل الإمام علي كرم الله وجهه)، وتنتميان إلى الفئة الحجاجية ذاتها .

ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي :

ن : عدل الإمام علي كرم الله وجهه

ح1 ـ أورده منهل الحق وإن كان كارهًا

الرابط الحجاجي ـ "حتي"

ح1 ـ لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ولأقودنّ الظالم بخزامته .

[1] المصدر السابق .ص178 .

وفي مثال نجد قول علي بن أبي طالب عليه السلام :

(والله ليُشردنّكم في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلا قليلٌ كالكحل في العين)[1].

نلاحظ أن الحجة الثانية "ح2" (لا يبقى منكم إلا قليلٌ كالكحل في العين) التي وردت بعد الرابط الحجاجي "حتى" أقوى حجاجيا من الحجة الأولى "ح1" (والله ليشردنكم في أطراف الأرض)، وهما حجتان تسوغان نتيجة واحدة المتمثلة في "ن"(عاقبة إتباع الضلالة)، وتنتميان إلى الفئة الحجاجية ذاتها .

ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي :

ن : عاقبة إتباع الضلالة

ح2 ـ لا يبقى منكم إلا قليلٌ كالكحل في العين

الرابط الحجاجي ـ "حتى"

ح1 ـ والله ليشردنكم في أطراف الأرض

وقوله أيضا :

(كأني أنظر إلى فاسقهم وقد صحِب المنكر فألفه، وبسيء به ووافقه، حتى شابت عليه مَفَارقه، وصُبغت به خلائقُهُ)[2].

معنى هذا أن الفاسق يصاحب المنكر ويستأنس به حتى يصبح من ملكاته الراسخة في نفسه.

يلاحظ من هذا المثال استعمال المحاجج للرابط الحجاجي "حتى"، الذي عمل على الربط بين الحجج، الحجة الأولى "ح1" (أنظر إلى فاسقهم وقد صحِب المنكر فألفه)، والحجة الثانية "ح2" (بسيء به ووافقه) الواردتان قبله، والحجة الثالثة "ح3" (شابت عليه مفارقه)، ثم الحجة الرابعة "ح4" (صبغت به خلائقه) الواردتان بعده، وهي حجج تخدم نتيجة واحدة والمتمثلة في "ن" (صفة الفاسق) .

[1] المصدر السابق .ص ص181،180.

[2] المصدر السابق .ص184.

والتي يمكن صياغتها وفق الشكل الآتي :

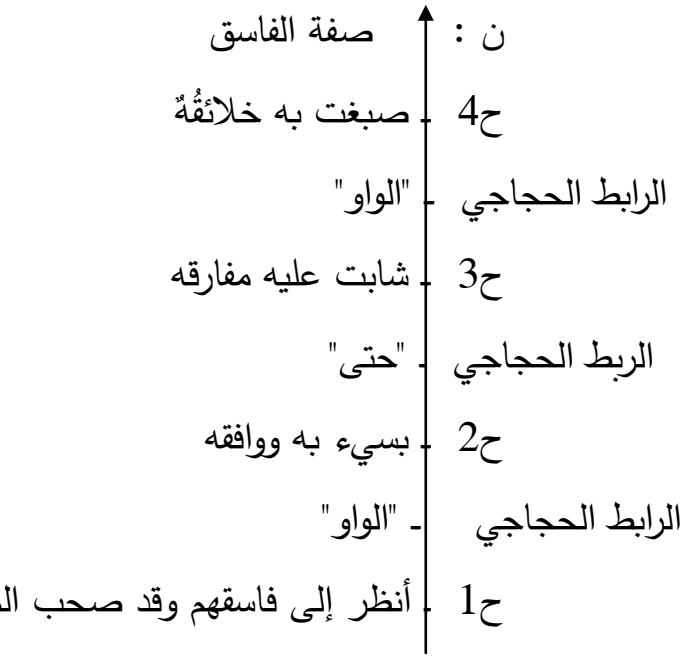

اتضح مما سبق ذكره أن الرابط الحجاجي "حتى" يمثل أحد روابط التساوق الحجاجي، وأن الحجج الواردة بعده أقوى حجاجيا من الحجج الواردة قبله، وكلها تخدم نتيجة واحدة، تنتمي إلى الفئة الحجاجية ذاتها .

1-1-4- الرابط الحجاجي "بل"

"بل" (حرف إضراب يدخل على المفردة والجملة)[1] .ويعمل على الربط (بين الحجج والنتائج، والنتيجة المضادة "لا- ن" ستصبح نتيجة القول برمته ؛لأن الحجة التي ترد بعد الرابط "بل" أقوى من الحجة التي ترد قبله)[2].

إن الرابط "بل" يربط بين حجتين متساوقتين، أي تخدمان نتيجة واحدة، أو يربط بين مجموعة من الحجج المتساوقة، إلا أن الحجة الواردة بعده أقوى من الحجة أو الحجج التي تتقدمه، ومن هنا ترادف "بل"، "حتى"، فـ "بل" تعبر هنا عن روابط التساوق الحجاجي[3].

[1] علي جاسم سليمان .موسوعة معاني حروف العربية .دط .عمان : دار أسامة للنشر والتوزيع، 2003م . ص95.
[2] أبو بكر العزاوي .اللغة والحجاج .ص63.
[3] المرجع نفسه .ص64.

ويمكن التمثيل لهذا بالآتي :

(وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغضٌ للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يهِم بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم يَنقص منه)[1].

معنى هذا أن الرجل الرابع هو خيرهم عند الله عز وجل، فإنه لم يكذب على الله وعلى رسوله، وهذا خوفا من الله ورسوله، ولم يخطئ، ولم يظن خلاف الواقع .

فالرابط الحجاجي أقام علاقة حجاجية بين حجتين متساوقتين، تؤديان إلى النتيجة نفسها، تمثلت الحجة الأولى "ح1" في (مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسوله ولم يهِم)، وقد وردت هذه الحجة قبل الرابط الحجاجي "بل"، أما الحجة الثانية "ح2" التي وردت بعد الرابط، والمتمثلة في (حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه)، وهي أقوى حجاجيا، وكلاهما تخدمان نتيجة واحدة تمثلت في "ن" (لم يكذب على الله ولا على رسوله صلى الله عليه وآله).

ويمكن تمثيل ما تقدم في الخطاطة كالآتي :

ن : لم يكذب على الله ولا على رسوله صلى الله عليه وآله

ح2 ـ حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه

الرابط الحجاجي ـ "بل"

ح1 ـ مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسوله ولم يهم

[1] علي بن أبي طالب .نهج البلاغة .ص286.

1-1-5- الرابط الحجاجي "لكن" :

يُعد من الروابط الحجاجية التي تعمل على تغيير الاتجاه الحجاجي ؛لأنه يلغي الاتجاه الحجاجي للملفوظ الذي يسبقه، و تكون(لكن للاستدراك، توسطها بين كلامين متغايرين نفيا وإيجابا، فندرك بها النفي بالإيجاب بالنفي) [1].

ويمكن التمثيل لهذا بالآتي :

(ولو فكرو في عظم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عالية والبصائر مدخولة)[2].

يلاحظ هنا التعارض بين ما تقدم الرابط الحجاجي "لكن"، وما تتلوه، فالحجة الأولى "ح1" تمثلت في (لو فكرو في عظم القدرة وجسيم النعمة) وردت قبل الرابط الحجاجي، وتحمل النتيجة "ن" (رجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق)، أما الحجة الثانية "ح2"أقوى حجاجيا من الحجة الأولى "ح1" المتمثلة في (القلوب عالية و البصائر مدخولة)، والتي تحمل نتيجة مضادة ومتناقضة للنتيجة الأولى "ح1"، وهذه الأخيرة تمثلت في (لا- ن) (لن يرجعوا إلى الطريق ولن يخافوا عذاب الحريق).

ويمكن التجسيد له كالآتي :

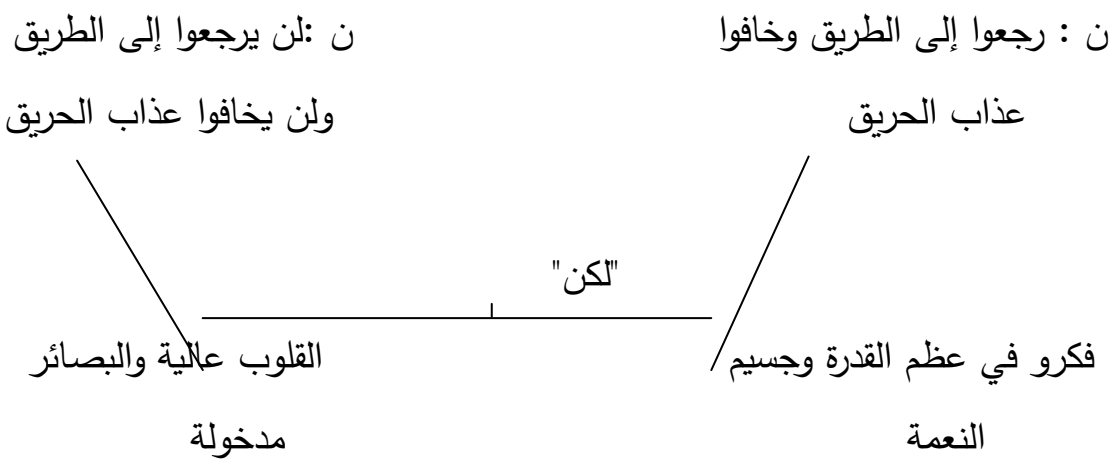

[1] تمام حسان .اللغة العربية معناها ومبناها .ط4 .القاهرة :عالم الكتب، 2004م .ص213.

[2] علي بن أبي طالب .نهج البلاغة .ص280.

خلاصة القول : الرابط الحجاجي "لكن" يربط بين حجتين متعارضتين، الحجة الأولى "ح1" ترد قبل الرابط، وتحمل نتيجة "ن"، أما الحجة الثانية "ح2" ترد بعد الرابط الحجاجي وتكون أقوى من "ح1"، وتحمل نتيجة مضادة (لا- ن) .

1-1-6- الرابط الحجاجي "لام التعليل" :

"لام التعليل"من الروابط الحجاجية، التي تربط بين النتيجة والحجة، فهي تتصل بالفعل الضارع وتنصبه، وتأتي لتعليل النتيجة وتبريرها .

ويمكن توضيح ذلك بالمثال الآتي :

(وإن في سلطان الله عصبة لأمركم)[1].

فالرابط الحجاجي جاء بعد النتيجة "ن" مرتبطا بالحجة "ح" ليعلل النتيجة المطروحة ويفسرها.

ويمكن التجسيد لها بالمسار الحجاجي الآتي :

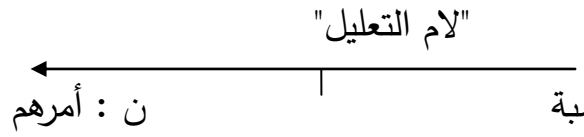

وفي موضع آخر نجد قوله عليه السلام :

(يرون أهل الدنيا يُعظمون موت أجسادهم وهم أشدّ إعظاما لموت قلوب أحيائهم)[2].

فالرابط الحجاجي "لام التعليل" تموضع قبل النتيجة "ن" المتمثلة في (موت قلوب أحيائهم)، وبعد الحجة التي تمثلت في (يرون أهل الدنيا يُعظمون موت أجسامهم و هم أشدّ إعظامًا) .

[1] المصدر السابق .ص ص218،219.

[2] المصدر السابق .ص308.

ويكمن توضيح ذلك من خلال المخطط الآتي :

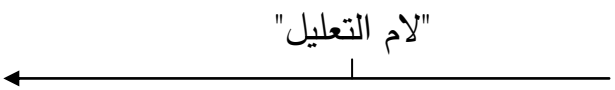

ح : يرون أهل الدنيا يُعظمون موت أجسادهم وهم أشدّ إعظامًا

ن : موت قلوب أحيائهم

1-1-7- الرابط الحجاجي "لأن" :

يُعد أحد الروابط الحجاجية المدرجة للحجج، يعمل على الربط بين الحجة والنتيجة، حيث تأتي الحجة قبله لتعليل وتبرير النتيجة الواردة بعده .

ومثاله نجد قوله عليه السلام :

(فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيًا عن طاعتهم آمنًا من معصيتهم، لأنه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعةً من أطاعه)[1].

ويمكن توضيح ذلك من خلال المسار الحجاجي الآتي :

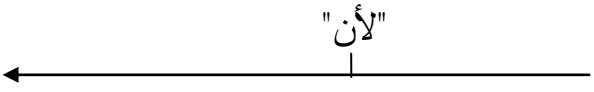

ح : فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيًا عن طاعتهم آمنًا من معصيتهم

ن :لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه

فالرابط الحجاجي "لأن" أقام علاقة حجاجية بين النتيجة والحجة، حيث تمثلت النتيجة في "ن" (لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه)، وهي نتيجة وردت بعد الرابط، أما حجته في ذلك هي "ح" (إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيًا عن طاعتهم آمنًا من معصيتهم)، معنى هذا أن طاعة الله سبحانه وتعلى تنفع صاحبها، فهذه الحجة وردت قبل الرابط لتعليل النتيجة التي بعدها وتبريرها .

وما ورد عن علي بن أبي طالب عليه السلام أيضًا :

[1] المصدر نفسه .ص267.

(أيها الناس إن الدنيا تغرُّ المؤْمِل لها والمخلد إليها، ولا تنْفس بمن نافس فيها، وتغلب عليها، وأيْم الله ما كان قومٌ قطٌّ في غضّ نعمةٍ من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها لأن الله ليس بظلام للعبيد)[1].

الرابط الحجاجي "لأن" جاء بعد الحجة المتمثلة في "ح" (إن الدنيا تغر المؤمل لها و المخلد إليها، ولا تنفس بمن نافس فيها، وتغلب من غلب عليها، وايْم الله ما كان قوم قطٌّ في غض نعمة من عيْش فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها)، ويقصد عليه السلام بقوله هذا أن الدنيا لا تحرص عليه بل تهلكه، وهذا من ظن بأنها من نفائسه، وقبل النتيجة التي تمثلت في (الله ليس بظلام للعبيد)، فالرابط تموضع قبل النتيجة مرتبطا بالحجة ليعلل النتيجة ويبررها .

والتي يمكن التمثيل لها كالآتي :

"لأن"

ح :أن الدنيا تغر المؤمل لها والمخلد إليها، ولا نافس بمن نافس فيها وتغلب من غلب عليها، وايْم الله ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها .

ن :الله ليس بظلام للعبيد .

ويلاحظ في هذا المثال أنه إلى جانب الرابط الحجاجي "لأن"، الذي ربط بين النتيجة والحجة، وُجد الرابط الحجاجي "الواو"، الذي جمع بين مجموعة من الحجج، تمثلت في الآتي :

"ح1" : إن الدنيا تغر المؤمل لها مخلد لها .

"ح2" : المخلد لها .

"ح3" : لا تنفس بمن نافس فيها .

[1] المصدر السابق .ص ص230،229.

"ح4" : تغلب من غلب عليها .

"ح5" : ايْم الله ما كان قومٌ قط في غض نعمة من عيش فزال عنها .

فكل هذه الحجج تدعم بعضها في اتجاه واحد، وتساند نتيجة واحدة وهي "ن" (الله ليس بظلام للعبيد) .

ويمكن تجسيد ذلك في المسار الحجاجي الآتي :

ن : الله ليس للعبيد

ح5 ـ ايْم الله ما كان قوم قط في عض نعمة .

الربط الحجاجي ـ "الواو"

ح4 ـ تغلب من غلب عليها

الرابط الحجاجي ـ "الواو"

ح3 ـ لا تنفس بمن نافس فيها

الرابط الحجاجي ـ "الواو"

ح2 ـ المخلد لها

الرابط الحجاجي ـ "الواو"

ح1 ـ إن الدنيا تغر المؤمل لها

1-1-8- التوكيد :

يُعد أداة من الأدوات اللغوية للسلم الحجاجي يلجأ إليها المحاجج لتأكيد كلامه، إذا كان المحجوج (المتلقي) بحاجة إلى ذلك .

ومن أمثلة التوكيد التي وردت من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الآتي :

(لأنصفن المظلوم من ظالمه)[1].

[1] المصدر السابق .ص178.

ويمكن تمثيل ذلك بالسلم الحجاجي الآتي :

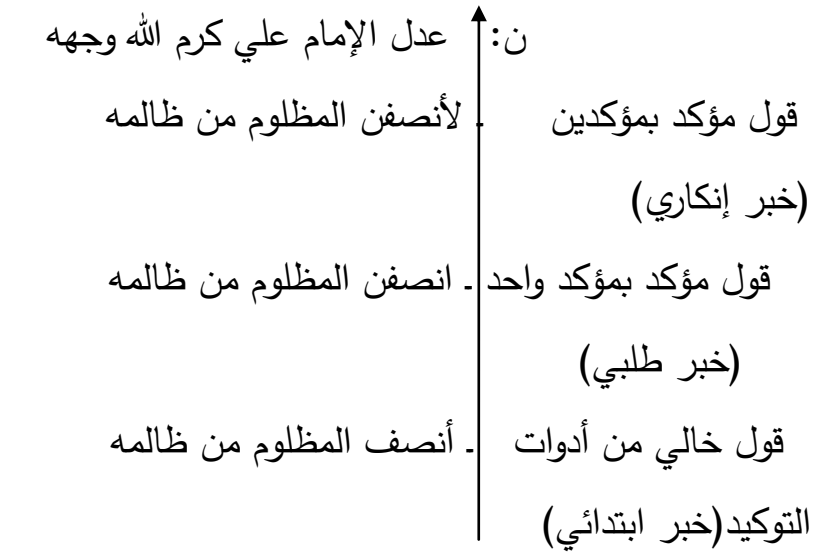

يلاحظ مما سبق أن القول الثالث المتمثل في (لأنصفن المظلوم من ظالمه) احتوى زيادة توكيدية، عملت على إضافة معان إلى المعنى الوارد في القول الأول . الخبر الابتدائي . وبالتالي غيرت المعنى بدفع الشك والإنكار، أما القول الثاني (أنصفن المظلوم من ظالمه)، هو من نوع الخبر الطلبي، الذي يحتوي على مؤكد واحد، والذي يكون في الدرجة الأولى من السلم الحجاجي، ويليه القول الأول (أنصف المظلوم من ظالمه) الخالي من أدوات التوكيد، والذي يأتي في الدرجة الصفر من درجات السلم الحجاجي .

ومن أمثلة التوكيد التي وردت على لسان علي عليه السلام الآتي:

(وإن الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه)[1].

جاء القول (الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده) مؤكد بـ (إن)، والمقصود بذلك أن الدنيا فانية لا محال، والبقاء يكون لله سبحانه وتعالى .

ويمكن توضيح ذلك بالسلم الحجاجي الآتي :

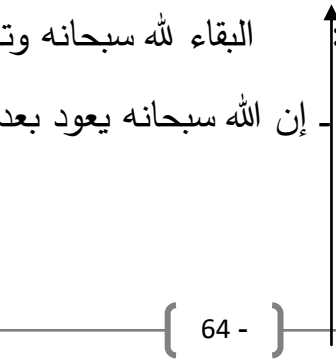

[1] المصدر السابق .ص245.

(خبر طلبي)

قول خالي من أدوات التوكيد ـ الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده .

(خبر ابتدائي)

ما نلاحظه من خلال هذا المثال أن القول المؤكد (إن الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده) أقوى حجاجيا من القول غير المؤكد (الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده) .

2ـ الآليات المنطقية والشبه منطقية :

إضافة إلى وسائل السلم الحجاجي سالفة الذكر، نجد بأن المحاجج اعتمد على بعض الصيغ الصرفية لترتيب الحجج، منها :

2ـ1ـ التعدية :

عرّفها عبد الهادي بن ظافر الشهري بقوله هي: (ترتيب الأشياء في السلم الحجاجي بعقد العلاقة بينها، رغم عدم وجود هذه العلاقة قبل التلفظ بالخطاب)[1].

وتتمثل علاقة التعدية في الآتي:

2ـ1ـ1ـ أفعال التفضيل :

استعمل أفعل التفضيل في الإثباتات، وتعريفه :(أنه اسم مشتق على وزن :أفعل يدل ـ في الأغلب ـ على أن شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه، فالدعائم التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي . في أغلب حالاته ثلاثة:

ـ صيغة أفعل، هي اسم مشتق .

ـ شيئان يشتركان في معنى خاص .

ـ زيادة أحدهما على الآخر في هذا المعنى الخاص .

ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أن يكون أمرًا حميدًا، أو ذميمًا)[2] .

[1] عبد الهادي ظافر الشهري .استراتيجيات الخطاب .ص526.

[2] عباس حسن .النحو الوافي . ط3 .القاهرة : دار المعارف بمصر، دت .ص395.

ويمكن التمثيل لذلك كالآتي :

قال علي بن أبي طالب عليه السلام :(**وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة**)[1].

نلاحظ من خلال هذا المثال أن النظر في (عمارة الأرض) أفضل (في أعلى السلم الحجاجي) من النظر في (استجلاب الخراج)، والتي تكون في أدنى السلم الحجاجي، وبالتالي العلاقة الرابطة بينهما هي علاقة التفضيل، وتتمثل هذه العلاقة في الآتي :

ـ المفضل :عمارة الأرض

ـ المفضل منه :استجلاب الخراج

ـ اسم التفضيل : أبلغ

نستنتج مما سبق أن الحجة الأولى "ح1" النظر في (عمارة الأرض) أقوى حجاجيا من الحجة الثانية "ح2" النظر في (استجلاب الخراج)، بمعنى أن اسم التفضيل (أبلغ) جعلت الحجة الأولى في أعلى مراتب السلم الحجاجي .

ويقول في موضع آخر :

(**وسُئِل عليه السلام أيُّما أفضل العدل أو الجود ؟ .فقال عليه السلام :العدل يضع الأمور مواضِعها، والجود يخرجُها من جهتِها، والعدل سائسٌ عامٌ، والجود عارضٌ خاصٌ، فالعدل أشرفهما وأفضلهما**)[2].

ما نستخلصه من هذا القول أن الإمام علي عليه السلام قارن بين شيئين اثنين، هما (العدل) و(الجود)، واعتبر أن (العدل) هو أشرف وأفضل ؛وبالتالي فهو الأقوى حجاجيا من (الجود) .

ويمكن التمثيل لهذا بالآتي :

ـ المفضل :العدل

[1] علي بن أبي طالب .نهج البلاغة .ص380.

[2] المصدر السابق .ص476.

ـ المفضل منه : الجود

ـ اسم التفضيل : أفضل

ومنه نستنتج أن لفظة (العدل)، تأتي في أعلى السلم الحجاجي ؛لأن اسم التفضيل (أشرف) جعلها أفضل من مقابله (الجود)، بمعنى أن اسم التفضيل زاد (العدل) على (الجود) في صفة أنه محقق للنتيجة (وضع الأمور مواضعها)، وبالتالي كلمة (العدل) أقوى حجاجيا من كلمة (الجود) التي تأتي في أدنى السلم، والعلاقة الرابطة بينهما هي علاقة التفضيل، وذلك بواسطة اسم التفضيل (أشرف).

2-1-2- صيغ المبالغة :

عرّفها عبد الهادي بن ظافر الشهري بقوله (تفيد الكثرة والمبالغة الصريحة في معنى فعلها الثلاثي الأصلي، مالا تفيده إفادة صريحة، إلا أنها تُفضل غيرها من الأوصاف مثل اسم الفاعل، كما تتفاضل فيما بينها، وأشهر أوزانها خمسة قياسية وهي : فعّال، مِفْعال، فَعول، فعيل، فَعِل، وهناك بعض صيغ قليلة مقصورة على السماع عند القدماء ؛أشهرها من الفعل الماضي الثلاثي :فِعِّيل)[1].

ومثالـه :

قال الإمام علي رضي الله عنه :**(جاهلٌ خبّاط جهالات)**[2].

والمقصود من هذه العبارة بلوغ شدة التخبط حدًا مستحيلاً، وهذا ليدل أن الجاهل بالغ في ذلك التخبط .

وما نلاحظه من خلال هذا المثال أن الإمام علي كرم الله وجهه استخدم صيغة المبالغة المتمثلة في كلمة (خبّاط)، التي جاءت على وزن (فعّال)، دون لفظة (يتخبط) ؛لأنها الأقوى من الناحية الحجاجية، فهي تقع في أعلى السلم ؛وبالتالي صيغة المبالغة (خبّاط) جعلتها الأقوى، وكانت الغاية من استعمالها المبالغة في الوصف والإقناع .

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري .استراتيجيات الخطاب .ص529.

[2] علي بن أبي طالب .نهج البلاغة .ص42.

ومن الأمثلة التي وردت على لسان الإمام علي عليه السلام نجد ما يلي:

(وما كل ذي قلب بلبيبٍ، ولا كل ذي سمْعٍ بسميعٍ، ولا كل ناظرٍ ببصيرٍ)[1].

استخدم الإمام علي كرم الله وجهه في كلامه المصطلحات الثلاثة (لبيب، سميع، وبصير)، التي جاءت على وزن (فعيل)، فصيغة المبالغة المتمثلة في كلمة (لبيب)، تدل على بلوغ شدة الذكاء، أما لفظة (سميع)، تدل على المبالغة في السمع (بلوغ شدة السمع)، فهي اسم من أسماء الله الحسنى، بمعنى السامع، أي أن الله عز وجل يسمع ما في الكون سواء كان سرًا أو علانيةً، وكلمة (بصير)، تدل على بلوغ شدة الدقة في النظر، فهي كذلك اسم من أسماء الله الحسنى، والتي تعني أن الله تعالى يرى جميع الموجودات، أي يُشاهد الأشياء كلها ظاهرها وباطنها، وبالتالي إن الله جل جلاله يرى ويسمع ولا يغيب عنه شيء، لا في السماوات ولا في الأرض .

بمعنى أن هذه العبارة تشير إلى أنه ليس كل إنسان له قلب فهو لبيب، وأي إنسان يسمع فهو سماع، وأي إنسان يُبصر فهو بصير .

2ـ1ـ3ـ القياس الضمني :

القياس الضمني يتكون من ثلاث ركائز، وهي كالآتي[2]:

ـ مقدمة كبرى (المسلم بها)

ـ مقدمة صغرى

ـ النتيجة

فنجد وظيفته في الخطاب الحجاجي (تتمثل في جعل المحجوج يُشارك في العمل الحجاجي، بانتقاله مما هو بديهي مسلم به إلى الهدف المسطر (النتيجة)، فنرى عملية ربط بين المقدمات والنتيجة تعمل في شد انتباه المتلقي)[3].

---

[1] المصدر نفسه .ص42.

[2] عبد القادر عدناني وآخرون .الفلسفة .دط .المعهد التربوي الوطني .الجزائر، دت .ص48.

[3] المرجع نفسه .ص48.

كما عرّفه "طه عبد الرحمان " بقوله (اعلم أنّ القياس فعالية استدلالية خطابية حجاجية)[1].

ويمكن التمثيل لهذا القول كالآتي :

(والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر،ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس)[2].

ما يمكن استخلاصه من هذه العبارة، أن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، قارن بينه وبين معاوية، وذلك باعتبار الداهية لا يغدر ولا يفجر، وبما أن معاوية يغدر ويفجر ؛فهو ليس داهية .

ولهذه المقولة ثلاث ركائز، وهي كالآتي :

الجزء 1
- مقدمة كبرى : الداهية لا يغدر ولا يفجر.
- مقدمة صغرى : معاوية يغدر ويفجر .
- النتيجة : معاوية ليس داهية .

الجزء 2
- مقدمة كبرى : الداهية لا يغدر ولا يفجر.
- مقدمة صغرى : علي كرم الله وجهه لا يغدر ولا يفجر.
- النتيجة : علي كرم الله وجهه داهية .

2-1-4- الشاهد :

يُعرف باعتباره (من دعامات الحجاج القوية، ووسيلة من وسائله المنطقية، يستثمرها المحاجج من أجل تقوية أطروحته وتأكيدها، بإعطائها مظهرًا حيًّا وملموسا، وبهذا يكون قد أكد على مصداقية الحجة، التي أدخلها في بناء نصه، ومارس نوعا من الضغط على متلقيه

[1] طه عبد الرحمان .اللسان والميزان أو التكوثر العقلي .ص278.

[2] علي بن أبي طالب .نهج البلاغة .ص280.

؛للإقناع و التأثير)[1]، ويتمثل الشاهد في الآتي :الآيات القرآنية، والشعر والأمثال والحكم ...الخ.

ومن الأمثلة الواردة في خطب علي كرم الله وجهه الآتي :

(ألا وإن القدر السابق قد وقع، والقضاء الماضي قد توّرد .وإني متكلمٌ بِعِدَة الله و حُجَته، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ **(فصلت 30)**

كما ورد أيضا في قوله عليه السلام الآتي :

(وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليْه .وقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم :"لا يسْتقيمُ إيمانُ عبْدٍ حتي يسْتقيمَ قلْبُهُ .ولا سْتقيمُ قلبُهُ حتي يسْتقيمَ لسانُهُ)[2].

وفي موضع آخر نجد قوله عليه السلام :

وعلى ذلك قول الأعشى[3]:

ما يجعلُ الجُدُّ الظّنُون الذي جُنِّب صوْبَ اللّجَبِ الماطِرِ

مثلُ الفُراتيِّ إذا ما طَمَـــــا يقْذِفُ بالبُوصِيّ والماهِـــــرِ

ما نلاحظه من خلال كتاب "نهج البلاغة" أن المحاجج لجأ إلى استخدام الآيات القرآنية بكثرة مقارنة بالشواهد الأخرى، كوسيلة حجاجية لتقوية كلامه، وإقناع متلقيه والتأثير فيه ؛وذلك باعتبار أنها تمثل أعلى درجة وقوة حجاجية .

[1] مسعودة الساكر، النص الحجاجي في الطور المتوسط من التلقي إلى الإنتاج، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه،"لم تنشر"، جامعة باجي مختار، عنابة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، إشراف مليكة بوراوي، (1439هـ/2018م) .ص ص96،97.

[2] المصدر نفسه .ص227.

[3] المصدر السابق .ص449.

الخاتمـــــــة

من خلال دراستنا التي دارت حول السلالم الحجاجية وآلياتها في خطب الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ،اتضحت لنا من خلال دراستنا للفصل النظري مجموعة من النتائج (والتي تعتبر مسلمات) ،أهمها تمثل في الآتي :

ـ ارتبطت دلالة الحجاج بمعان متعددة ،كالحوار ،والجدل ،والمناظرة ...الخ ،وجميع هذه الدلالات تصب في قالب واحد هو إقناع المحجوج والتأثير فيه .

ـ ارتبط الحجاج عند الغرب القدامى بالجدل من جهة والبلاغة من جهة أخرى .

ـ يُعد "أرسطو" من أرسى معالم الدرس الحجاجي ،التي قامت عليها نظرية الحجاج المعاصر .

ـ اتخذ الحجاج في العصر الحديث وجهتين مختلفتين إحداهما بلاغية ،والتي مَثلها "بيرلمان" و"تيتيكا" ،والأخرى تداولية مثلها "أنسكومبر " و"ديكرو" بالإضافة إلى نظرية المساءلة (أو نظرية الحجاج الخطابي) لـ "ميشال مايير" .

ـ يُعد "ديكرو" أول من توصل إلى فكرة السلالم الحجاجية .

ـ يُعد "الجاحظ" مؤسس معالم الدرس الحجاجي العربي ،من خلال كتابه (البيان والتبيين).

ـ عَرف الحجاج عند العرب المعاصرين وجهتين :الوجهة الأولى منطقية بلاغية ،والتي مَثلها "محمد العمري" وغيره ،أما الأخرى لسانية تداولية ،مَثلها "أبو بكر العزاوي" ،و"طه عبد الرحمان" .

في حين توصلنا من خلال الفصل التطبيقي إلى مجموعة من النتائج ،تمثل أهمها في الآتي :

ـ يُعتبر الحجاج ظاهرة تواصلية ،تتواجد في شتى أنواع الخطابات .

ـ تنوعت خطب الإمام علي كرم الله وجهه بين السياسية ،والدينية ،والاقتصادية.... ،والتي كانت زاخرة بالحجاج وآلياته ،منها السلالم الحجاجية .

ـ تراوحت الآليات الموظفة في خطب سيدنا علي عليه السلام بين الآليات اللغوية ،وشبه المنطقية ،وكل منها يؤدي إلى الإقناع والتأثير .

ـ يتحقق السلم الحجاجي بمجموعة من الآليات منها :الآليات البلاغية ،والمنطقية ،وشبه منطقية .

ـ تترتب الحجج على سلم حجاجي على أساس قوة الحجة وضعفها .

ـ تعددت الروابط الحجاجية في خطب الإمام علي عليه السلام ،وقد لعبت الدور الفعّال في انسجامها ،ومن بين الروابط الأكثر حضورًا في خطبه : (واو ،الفاء ،لكن ،بل ،لام التعليل ،لأن) .

ـ أسهمت الروابط الحجاجية في خطب الإمام علي كرم الله وجهه ،في تساوق الحجج لخدمة نتيجة واحدة هذا من جانب ،ومن جانب آخر في تعارضها من أجل تحقيق نتيجة مضادة للحجة الأولى .

ـ وجود التوكيد في خطب سيدنا علي عليه السلام أدى الدور الفعّال في تقوية الكلام ،وفي إقناع المحجوج والتأثير فيه .

ـ وجود أفعال التفضيل ،وصيغة المبالغة ،والقياس الحجاجي في خطب الإمام علي كرم الله وجهه ،أسهم في الإقناع والتأثير في المتلقي .

ونسأل الله التوفيق .

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1. إبراهيم شمس الدين .خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .دط .بيروت : دار الكتب العلمية ،1971م .

2. أحمد بن فارس.مقاييس اللغة .دط .تحق :عبد السلام محمد هارون .دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(1399هـ \1979م) .ج2 .مادة (حجج) .

3. أرسطو طاليس .الخطابة .الترجمة العربية القديمة .دط .تحق: عبد الرحمان بدوي .بيروت: دار العلم ،1979م.

4. أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان .كتاب مقتل أمير المؤمنين ،رواية الحسين بن صفوان .ط1 .دمشق : دار البشائر ،2001م.

5. أبو بكر العزاوي .اللغة والحجاج .ط1 .الدار البيضاء .المغرب :العمدة في الطبع ،(1426هـ/2006م) .

6. تمام حسان .اللغة العربية معناها ومبناها .ط4 .القاهرة :عالم الكتب ،2004م.

7. ابن تيمية .مجموع الفتاوي .دط .تحق:عبد الله الرحمان محمد بن قاسم .المملكة العربية السعودية ،(1416هـ/1995م) .ج1.

8. الجاحظ .البيان والتبيين .ط1 .تحق:عبد السلام محمد هارون .القاهرة :مكتبة الخانجي ،(1418هـ/1998م) .ج1.

9. حنا الفاخوري .الجامع في الأدب العربي (الأدب العربي القديم) .دط .بيروت :دار الجيل .دت .

10. الخليل بن أحمد الفراهيدي .كتاب العين .ط2 .تحق:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي .بيروت :دار ومكتبة الهلال .ج7. مادة (سلم) .

11. رشيد الراضي.الحجاج والمغالطة ،من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار .ط1 .دار الكتاب الجديد المتحدة ،2010م .

12. سامية الدريدي .الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني هجري .ط1 .الأردن :عالم الكتاب ،(1428هـ/2008م) .

13. الطاهر ابن عاشور .تفسير التحرير والتنوير .ط1 .بيروت :مؤسسة التاريخ العربي ،2000م .

14. طه عبد الرحمان .اللسان والميزان أو التكوثر العقلي .ط1 .المغرب :المركز الثقافي العربي دار البيضاء ،1998م .

15. عباس حسن .النحو الوافي . ط3 .القاهرة : دار المعارف بمصر ،دت .

16. عباس الحشاني .خطاب الحجاج والتداولية دراسة في تاج ابن باديس الأدبي .ط1 .الجزائر :عالم الكتب الحديث ،2014م .

17. عباس سليمان .موسوعة معاني حروف العربية .دط .عمان : دار أسامة للنشر والتوزيع ،2003م.

18. عبد القادر عدناني وآخرون .الفلسفة .دط .المعهد التربوي الوطني .الجزائر ،دت .

19. عبد الله صولة .الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم .دط .إشراف:حمادي صمود .كلية الآداب منوبة .تونس :المطبعة ،1998م.

.في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات .ط1. تونس :مسليكياني للنشر ،2011م .

.الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية .ط1 .بيروت :دار الفارابي ،2007م .

22. عبد الهادي بن ظافر الشهري .استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية .ط1 .بيروت :دار الكتب الجديدة المتحدة ،2004م .

23. عز الدين الناجح .العوامل الحجاجية في اللغة العربية . ط1. صفاقس :مكتبة علاء الدين دار نهى ،2011م .

24. علي جاسم سليمان .موسوعة معاني حروف العربية .دط .عمان :دار أسامة للنشر والتوزيع ،2003م

25. علي بن أبي طالب .نهج البلاغة .دط .تحق :محمد عبدة .القاهرة :دار الحديث ،2003م.

26. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري .المفصل في صناعة الإعراب .ط1 .تحق: على بوملحم .بيروت :مكتبة الهلال ،1993م.

27. ابن كثير.البداية والنهاية .ط1 .بيروت :دار الكتب العلمية ،2005م .ج7 .

28. مجدي الكيلاني .تاريخ الفلسفة من منظور معاصر .ط1.دار التنوير،2008م .

29. مجمع اللغة العربية .المعجم الوسيط .ط1.بيروت :دار الدعوة .دت .ج1.مادة (سلم).

30. محمد سالم الأمين الطلبة .الحجاج في البلاغة المعاصرة .ط1.لبنان :دار الكتاب الجديد ،2008م .

31. محمد طروس .النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية .ط1. المغرب :دار الثقافة ،2005م.

32. محمد طلحة .تداولية الخطاب السردي .ط1.الأغواط :منشورات الحياة الصحافة ،2008م .

33. محمد علي القارصي .البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم .دط .إشراف:حمادي صمود .تونس :المطبعة ،1998م .

34. محمد العمري .في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي في دراسة الخطابة العربية .ط2 .بيروت :إفريقيا الشرق ،2009م .

35. ابن منظور .لسان العرب .ط1 .بيروت :دار الصدر ،2003م .ج2 .مادة (ح ج ج).

36. هدى وصفي وأخريات .في فن الحجاج والجدل .دط. جامعة عين شمس كلية الألسن ،2002 م .

37. هشام الريفي .الحجاج عند أرسطو .ضمن كتاب أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم .دط .إشراف حمادي صمود .تونس :المطبعة ،1998م .

38. هنريش بليت. البلاغة والأسلوبية ،نحو نموذج سيميائي لتحليل النص .دط. تحق: محمد العمري ،دت.

39. ابن وهب .البرهان في وجوه البيان .دط .تحق:حفني محمد شرف .القاهرة :مطبعة الرسالة ،دت .

40. أبو يعقوب السكاكي .مفتاح العلوم .ط1.تحق :عبد الحميد هنداوي .بيروت :دار الكتب العلمية ،دت .

الرسائل الجامعية:

41. مسعودة الساكر ،النص الحجاجي في الطور المتوسط من التلقي إلى الإنتاج ،بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه ،"لم تنشر" ،جامعة باجي مختار عنابة ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ،إشراف مليكة بوراوي ،(1439هـ/2018م) .

الجرائد والمجلات:

42. جمال البناء ،السنوات الأخيرة للشيخ الوالد ،جريدة المشرق الأوسط ،ع 8424 ،الجمعة 6 شوال 1422هـ / 21 ديسمبر 2019م .

43. عايد جدوع حنون ،العوامل الحجاجية في آيات الأحكام ،مجلة أوروك ،ع 4 ،جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية ،2016م ،المجلد التاسع .

44. علي جاسم حامد ناصر الظالمي ،نشأة الحجاج ،مجلة آداب البصرة ،ع 73،جامعة البصرة ،2010م .

45. محمد حمودي ،الحجاج واستراتيجيات الإقناع عند طه عبد الرحمان ،مجلة حوليات التراث ،ع12 ،جامعة مستغانم ،الجزائر ،2012م .

46. نعيمة دهش فرحان الطائيّ ،نظرية المساءلة والبلاغة لميشال ماييز مقاربة في الأصول والأسس والمثيلات ،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ،ع43 ،جامعة بابل ،نسيان ،2019م .

المواقع الالكترونية:

47. الموسوعة الحرة ،"نهج البلاغة" ، https// ar . wikipedia. Org / wiki/ ،تم الإنزال في: الأربعاء 2020/07/22.